ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها
في فكر الجابري
عرض وتحليل ونقد

إعداد الدكتور
صبري منصور عبد العزيز صيام
أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن الكريم
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين. القاهرة
بجامعة الأزهر وتبوك
البحث:

يدور البحث في تلك المحافظة على أصول الدين وثوابته وكشفها عن أساس السقينة والعقلية التي قام عليها، وردًا على لغة أصحاب القراءة الحداثية المهملة التي تتنافض مع النقل والعقل في آن واحد -وذلك من خلال طرح أحد أعلامهم البازاريين على الساحة الفكرية، وهو المفكر المغربي الدكتور محمد عابد الجابري، لقضية طالما كثر في الأخذ والرد، وهي قضية ترتيب سور القرآن الكريم ترتيباً متوافقاً ل زمن نزوله، فهي قضية بدأ الحديث فيها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما أثر عن الإمام علي – أنه جمع مصحفاً رتب سوره ترتيباً على زمن نزوله، ولا يزال هذا الطرح إلى يومنا. فحاء البحث كشفة عن جوانب الحق فيه ومؤيداً لها، وصور الباطل فيه ومدنداً شبهها من خلال ما قدمه الدكتور الجابري.

الكلمات المفتاحية: ترتيب - سور القرآن - ترتيب توقفي - ترتيب اتجهادي - النمو الداخلي - الظاهرة القرآنية.
Arranging the Surahs of the Noble Qur'an according to the time of their descent in Al-Jabri’s thought. Presentation, analysis and criticism

Sabry Mansour Abdel Aziz Siam
Department of Interpretation and Sciences of the Noble Qur’an, College of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.
Email: sabrymahmoud.s@azhar.edu.eg

Abstract:
Interpretation and Sciences of the Noble Qur’an - University of Tabuk.

The research revolves around the preservation of the fundamentals of religion and its fundamentals, revealing its transmission and mental foundations on which it is based, and in response to the aberration of those who are modern and rude reading that contradicts the transmission and the mind at the same time. And that is through the presentation of one of its prominent flags on the intellectual scene, which is Moroccan thinker Dr. Mohamed Abed Al-Jabri, for a long and abundant issue of give and take, which is the issue of arranging the surahs of the Noble Qur’an in a consistent arrangement for the time of its descent, as it
is an issue that began talking after the death of the Prophet – may God bless him and grant him peace –, and this is what influenced Imam Ali – may God be pleased with him – that he compiled a Qur’an that arranged his surah in order according to the time of its descent, and this offering remains to this day. So the search reveals the aspects of the right to and in support of it, and pictures of falsehood in it and refute its suspicions through what was presented by Dr. Al-Jabri.

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يواقي نعمة ويكافئ مزده، وأشهد أن لا إله إلا الله،
وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن القرآن الكريم كتاب الله المبين، وحبله المثني، ومعجزته الباقية، وسره
الراشد، وهو المعين الذي لا ينضب، من نسكل به عنده، ومن فتر فيه فقد ضل
سواء سبيل.

ولما يزال العلماء ينهلون من فيضه، ويستمدون من عطائه، ويجتهدون في الكشف
عن معانيه وأسرائه، كأن يدلل بدلًا بما أتى من سعة في العلم، وتوجيه في القصد، فمن
أصاب فله أجره، ومن أخطأ فله أجرًا ما تأهل لذلك وأحسى قدصًا.

والفقران الكريم خصائصه التي لا يشاركه ولا يدانيه فيها غيره من الكتب، سواء
أكانت كتابًا مماثلًا أم نحوصًا بشرى، فهو النص الرياني المقدس، المحفظ عن التبدل
والتحرير، الجامع بين الإعجاز والتشريع، الباقيء بقاء السماوات والأرض.

وهذا، فإن الموضوعية العلمية تقضي أن يكون منهج الدراسة والبحث فيه قائمًا
على مراعاة تلك الخصائص.

لكن المدرسة العلمية -جميع طوائفها ومتخلف انتخامها الفكرية- أبدًا إلا أن
تسبوي بينه وبين غيره، مما أوقعها في كثير من الأخطاء والخطأ.

والدكتور محمد عابد الجابري -رحه الله- أحد فلاسفة العصر ومفكريه الذين
يتنمو إلى تلك المدرسة، والذين ذاع صيتهم، وعلا صوِّمهم، وراجعت أفكارهم بين
أظهر كثير من المعاصرين، قد ختم دراساته الفكرية والفلسفية بوجهه ميدان الدراسات
المطلب الأول: النشأة الثقافية للجابري، وأثرها في توجه الفكر.
المطلب الثاني: اختلاف الجابري في منهجه في التعامل مع القضايا القرآنية.
المبحث الثاني: ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها بين القبول والرد.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره في أقوال العلماء.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمها إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وحائط:
المبحث الأول: الجابري ومنهجه في تناول القضايا القرآنية
وقدر بحث:

المطلوب الأول: النشأة الثقافية للجابري، وأثرها في توجه الفكر.
المطلب الثاني: اختلاف الجابري في منهجه في التعامل مع القضايا القرآنية.
المبحث الثاني: ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها بين القبول والرد.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره في أقوال العلماء.
المطلب الثاني: وجوب الحافطة على ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف الشريف.

المطلب الثالث: أبرز من رتب سور القرآن الكريم زمنياً، والهدف منه.

البحث الثالث: ترتيب الجابري لسور القرآن الكريم.

وفي ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف الجابري من ترتيب آيات وسور المصحف العثماني.

المطلب الثاني: ترتيب الجابري لآيات القرآن الكريم وسورة.

المطلب الثالث: ترتيب سور القرآن الكريم عند المستشرقين وتأثير الجابري.

الخاتمة: جاءت مشتملة على ما يلي:

1 - أهم نتائج البحث.
2 - ثبت بأسماء المصادر والمراجع.
3 - فهرس الموضوعات.

هذا، ولم يكن قصدي أبدا أن أقلل من آراء الدكتور الجابري -رحمه الله- أو أضع من قدره، وإنما كان قصدي إظهار الحق وبيان الصواب بالحججة والبرها، وهذا توحيث في بحثي الأمانة العلمية، والتزمن بالحيطة والوضوعة، قدر الطاقة البشرية، ووزنت آراء الجابري بما اتفق عليه العلماء المتخصصون، غير محتمل أو متحامل عليه، والله من وراء القصد وهو النادي إلى سواء السبيل.

فإذا كنت قد وقفت فمن قل الله تعالى -عليه وتوافقه- وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

والله أسأل أن يكتب لي هذا القبول وخير المؤثرة في الدنيا والآخرة، كما أسأله -حل، وعلا - أن يجري عني والذي منشور، فما له حق على خير الجزاء.

«إن أرمين، إن آن الله إياك ما تستمتعت وما تأفقت إياك! إن ما أنتم يا كفرت فإنا نأتيك!» 1

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

1 سورة هود، من الآية: 88.
المبحث الأول
الجابري ومنهجه في تناول القضايا القرآنية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النشأة الثقافية للجابري، وأثرها في توجهه التفكري.

المطلب الثاني: اختلاف الجابري في منهجه في التعامل مع القضايا القرآنية.
المطلب الأول: النشأة الثقافية للجابري، وأثرها في توجه الفكر

الأساتذة الدكتور محمد عابد الجابري، مفكر ماركسي، يؤمن ب"المادية الجدلية"، وب"التاريخية الجدلية"، وكان لنشأته الأولية في المدارس الفرنسية، أثر في اعتقاده للفكر الماركسي.

فقد ولد الجابري سنة 1935 م، في مدينة "فجيج" التابعة "وجدة" بالجنوب الشرقي من المغرب العربي، حيث كان الفرنسيون يسيطرون عليهم وهمون سقطهم عليها.

ولن تفق ما كان للاستعمار من أهداف سياسية واقتصادية، بدأ تحقيقه من فرض ثقافة المستعمر على البلاد، وهذا أنشأ الفرنسيون المدارس الفرنسية الخاضعة خضوعًا كاملًا لوجيههم، فالتحق الجابري بإحدى مدارسهم، وهي مدرسة "ليكون" الإبتدائية -بعد أن بدأ رحلته التعليمية بمسايد (الكتاب)- وكان من بجاء تلك المدرسة، وكانت مدة الدراسة فيها عامين.

وعند الجابري التحقه بكل المدرسة افتاحاً من أسرته على الحياة العصرية (1)، حيث أعجب بنظام التعليم فيها مقارنة بنظام التعليم في المدرسة الفرنسية، وعدده متعددًا للفنادق الحاكم الفرنسي (2)، كما أنه اعتبر الاحتلال الفرنسي لمدينة فجيج بداية للانفراج التاريخي لها على العالم الحديث (3).

ثم التحق الجابري بمدرسة النهضة المصرية التي أنشأها الحكومة الوطنية كمدرسة عصرية بدلاً من التعليم الفرنسي، وبعد أن حصل الجابري على الابتدائية التحق بالقسم التكميلي بالمدرسة، وعدده دراسته فيها مرحلة تأسيسية في حياته الثقافية،

(1) حفريات في الذاكرة من بعد الدكتور محمد عابد الجابري ص 52.
(2) المرجع السابق ص 52.
(3) المرجع السابق ص 69.
رتيب ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجامعي

والتحديد على مستوى التعامل مع النصوص التراثية؛ يعني التراث الإسلامي، فكانت
 نافذة اطلاعه وبناء علاقة الألفية بينه وبين التراث(١)، لكن الدراسة فيها لم تكون
منظمة لعدم وجود الأساند(٢)، مما أتجه إلى التعليم الذاتي والإطلاع الشخصي
على كتب التراث(٣).

ثم سافر إلى وحدة مع أبيه بعد أن نفاه الاحتلال الفرنسي إليها، فانطلق فيها
المدرسة الفرنسية صاحبًا، ومدرسة التهذيب العربية التي أنشأتها الحركة الوطنية مساءً,
وأستمر في الدراسة فيها عامًا، وقد أعجب بتلك المدرسة؛ أي: مدرسة التهذيب، التي
كان مدبريها جزائريًا متعلقًا بالحركة الوطنية، وكان يعمل جنديًا في الجيش الفرنسي
من قبل، فاتسم نظام الدراسة فيها بالانضباط، كما اتسم مدرسونها بالعصرية في
منهجهم والخليفة في تفكيرهم(٤).

ولم يكتب لؤذ المدارس الوطنية الانتشار أو استمرار الدراسة فيها بسبب ضغوط
الاستعمار وضيقه على التعليم عليها، فاضطر إلى السفر إلى الدار البيضاء لواصل
دارته للمرحلة الإعدادية والثانوية، وما ليست أن أغلقت هذه المدارس بسبب ضغوط
الاستعمار(٥)، فواصل دراسته مدنيًا، ليتهيأ إلى دخول الاختبار فاجتاز نظرية العام
امتحان الشهادة الثانوية (الإعدادية)، والدبلوم الأول في الترجمة(٦)، ثم قبلاً لامتحان
البكالوريا معتمداً على نفسه، متخذاً من الكتب الفرنسية أستاذاً له ومرجعاً، فحصل
عليها عام ١٩٥٧م(٧)، ومنج بعدة للتعليم الجامعي في دمشق إلا أنه لم ي قض فيها إلا
عام أحد، ليتحق بكلية الآداب بالرياض، فنخرج من قسم الفلسفة عام ١٩٦٢م(٨).

كانت هذه أبرز محطات الدكتور الجامعي التعليمية التي كان لها أبرز الأثر
في توجه الفكر.

١. حفريات في المذاكرة من بعد ص(١٦٢).
٢. المرجع السابق ص(١٢٦).
٣. المرجع السابق ص(١٢٧).
٤. المرجع السابق ص(١٢٨).
٥. المرجع السابق ص(١٤٣).
٦. المرجع السابق ص(١٤٣).
٧. المرجع السابق ص(١٤٩).
٨. المرجع السابق ص(١٧٦).
وأختلفت الباحث في العلوم الإسلامية والإطلاع عليها وربط جزئيًا بركيًا من القرآن الكريم هو النافعي عن مشايخ رياضين متقدمين، فقد وردًا عن مشايخنا: أن "من كان شيخه كتابه فخطوه أكثر من صوابه" وأن "لا تأخذ القرآن عن مصحفي، ولا العلم عن صهفي".

وفي ذلك يقول الإمام أبو عمرو الداني:

والعلم لا تأخذ عنه صهفيّ *** ولا حروف الذكر عن كثيّ

وما كان الدكتور الجاوي قليل المشاعر في العلوم الشرعية، فقد انعكس أثر ذلك سلبًا على موقعه منها، فهو يرى أن التراث العربي الإسلامي الذي قام على النصوص اللغوية والشرعية قد ورث العقل العربي جموعًا فكرًا لا يرى معه تقدم حضاريٍّ، مما يجيب تجاوز هذا التراث وطروحة، فيقول بما لا مواربة فيه: "كيف نتحرر من سلطة التراث علينا؟ إن مهمة المنهج الذي نقترحه هنا. إنه المنهج التحليلي; يسعى تحقيق البنية... هذا النوع من التحليل هو ما يسمى بال"التفكيك"؛ تفكيك العلاقة الثانية في بنية ما. يهدف تحويلها إلى لا بنية، إلى مجرد تحوَّلات، هذا يندرج تحته – كما هو واضح – تحوَّل الثابت إلى متغير، والملطَق إلى نسيبي، واللا تاريخي إلى تاريخي، وتَزَمني إلى زماني (7)."

والمراد ب"الثابت" ومطلق" واللا تاريخي" وال"الا زمني" - في العبارة السابقة - هو الدين، فهو يدعو إلى تجاوز ثوابت هذا الدين، وتحويله إلى مجرد ترات قابل للنقض والرد.

(1) الأرجوزة المبهمة على أسماء القراء والرواية لأبي عمرو الداني ص (١٧).

(2) تكون أنعمة الأعراف والأعمال لوزير بن أحمد الجاوي (٢٠١).

(3) التراث والتحدي الدراسية للكثير محمد عابد الجاوي ص (٤٨)، ينتشر

٤٢
إن الجابر يدعو ضرورة إلتحاق بطرح التراث الإسلامي جابا ليحل محله الفكر الحداثي الأوربي في مختلف ميادين الحياة والأخلاقي في الفكر العالمي المعاصر، فهو ينادي بضرورة الاختراق الواعي في الفكر العالمي المعاصر للاستفادة من المناهج الحديثة والتفتح على الرؤى الجديدة (1).

هذا المنهج الحداثي القائم على القطعية مع تراث الأمة الإسلامية وضرورة الاستفادة من المناهج الغربية الحديثة ولج الجابر يختم نتائجه الثقافية (مدخل إلى القرآن الكريم، وفهم القرآن الكريم "تفسير الواضح حسب ترتيب التوزيع") دورة الدراسات القرآنية - وهو وصول غريب على الفكر الماركسي (2) - ليجعل من هذين الكتبين ممارسة تطبيقية مشروعة الفكر الذي دعا إليه على مدار عقود من الزمن، على الرغم أنه مشروع مبني على مناهج لا تناسب وطبيعة النص القرآني الذي كتب الله معموما والخلود، مما أوقع الجابر في كثير من المخالفات والتناقضات.

ولا مبرر له في ما دعا إليه سوى الافتتان بما أنجبته الحضارة الغربية الحديثة من مناهج علمية وثقافية، والسهر في ركابها في موقفهم من الكتاب المقدس بعديدها القادم (الثورة) والحداث (الإنجيل).

 Encyclopedia

(1) التراث والحداثة للدكتور محمد عابد الجابر ص ٧.
(2) التفسير الماركسي للإسلام للمفكر محمد عمارة ص ٧.
المطلب الثاني: اخبار الجابرية في منهجه في التعامل مع القضايا القرانية

الدكتور الجابرية لم يعتبر النص القرآني من الترات الذي يجب تجاوزه - وهو أمر لا يختلف معه فيه مؤمن بهذا الكتاب، لأن القرآن الكريم كتاب مقدس، لا يجوز تجاوز الترات، فالنص القرآني حيّ باق إلى يوم القيامة - وإنما مفهوم الترات عندنا متغير على ما شيدناه علماء الأمم عبر القرون السالفة من أدوات فهم النصين وما نتج عنها من علوم ومعارف(1).

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تعامل الجابرية مع النص القرآني على الرغم أنه أرجع حالة النص القرآني لدى الحضارة العربية الإسلامية إلى تمسكها بالنص اللغوي والشرعى؛ أي: القرآن الكريم والسنة النبوية؟ جحدد الجابرية موقفه من النص القرآنيعنوان له في كتابه "مدخل إلى القرآن":

القرآن يوصيه يخصمه لنفسه، ومعاصرًا لنا، يقول:

ويستغلي التمييز منهجياً بين أمرين:

- النص القرآني كما هو مجموعة في المصحف من جهة.
- القرآن كما نزل مفرقاً: أي: حسب ترتيب النزول من جهة أخرى، ومن ثم التعامل مع كل موضوع تطرح بشأن القرآن بحسب طبيعته، فإذا كان ما ينتمي إلى النسبي والتاريخي رجعنا به إلى ترتيب النزول، وإن كان ما ينتمي إلى المطلق واللازمي طرحناه على مستوى القرآن ككل، بوصفه يشرح بعضه بعضاً، ويكون الحكم فيه هو "قصد الشارع"، وليس الزمن والتاريخ، وهذا لا يمنع اعتقاد المستويين معاً حين يقتضي الموضوع ذلك(2).

ومعنى ذلك أن للقرآن الكريم - عند الجابرية - جانين، يختلف أحدهما عن الآخر في منهجي التعامل معه:

(1) مدخل إلى القرآن ص(26).
(2) المرجع السابق ص(27).
(3) المرجع السابق ص(27).
الجلد الأول من العدد السادس والثلاثين لفهرسة كليّة الدراسات الإسلامّيّة والعربية للبلدان بالإسكندرية

ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجابري

الأول: كونه معاصرًا لنفسه، ومنهاء: أنه مرتبٌّ بحسب العصر الذي نزل فيه، وبالمؤمنين المخاطبين به وقت نزوله، محمد بالحجاب النبوي له(1)، لا يتعادل إلى غيره تلقينًا وفهمًا، فهو يقول: «فالظاهرة القرآنية... هي في انتظامها اللغوي والاجتماعي والتفضي ظاهرة عربية، وبالتالي يجب أن ننتظر أن نخرج تماماً عن فضاء اللغة العربية»(2).

ومن هنا يتضح أن المنهج الذي اعتمده الجابري لجعل القرآن الكريم معاصرًا لنفسه هو المنهج التاريخي. وهو منهج يقضي إلى تحويل النص القرآني من كونه حقيقة مطلقة، إلى كونه نسبياً، ومن كونه عقيدة ثابتة إلى كون رأياً قابلاً للنقض والرد، ومن كونه نصاً جامحاً ينطلق كلهًا إلى كونه خاصاً بمن نزل فيه، إنه يقضي - باختصار- إلى نحو النص القرآني تماماً(3).

يقول د.محمد عمارا، وجوهر هذه النزعة ومقتضبها الأساسي هو إقامة قطيعة معرفية كبرى - ومن ثم عملية- مع الموروث الديني(4).

إن الجابري هذا المنهج يجعل القرآن الكريم من التراتب الذي يجب تقده وتجاوزه والتحرر منه، وإن لم يصرح هو بذلك.

ذلك المنهج هو الذي سلكه الجابري في طرّاحه لأكثر قضايا كتابه "مدخل إلى القرآن" كقضايا الظاهرة القرآنية، ومسار الكون والتكوين، وجمع القرآن الكريم، وقضية إعادة ترتيب سور القرآن حسب النزول التي هي موضوع البحث.

الثاني: كونه معاصرًا لنا، ومقصود الجابري بذلك أن يفرض القارئ على النص القرآني فهماً ومعقولية، ويكون بذلك متصلًا بالقرآن غير منفصل عنه، فيقول: "محاولة هذه القراءة أن تجعل المقرؤ معاصرًا لنا، ولكن فقط على صعيد الفهم ومعقولية"(5).

لقد سلك الجابري ماهماً ليجعل القرآن معاصرًا لنا هما: المنهج الموقفدي، والمنهج البينيوي.

1- الترازات والخِلافات لبحث الجاهلي (53)، مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية ص(100).
2- مدخل إلى القرآن ص(27).
3- أسسهمائيحة النهج والخطاب في درس القرآن وتفسير محمد مصطفوي ص(13، 14).
4- خطير النزعة التاريخية على الموروث الديني ص(4).
5- الفاظ والنرواق، قراءة معاصرة في تراث الفلسفى ص(12).
أولاً: المناهج المقاصدية.

قبل أن أبين معنى ذلك المناهج عنده، أذكر ما اتفق عليه علماء الأمة في اعتبار مقاصد الشريعة، فأقول:

أجمع العلماء على أن القرآن الكريم قد جاء بتشريع يراعي مصالح المكلفين، فإذا كان لشبة الشريعة وجوهها قائمًا على مراعة مصالح العباد المنتظمة في خمس قواعد كليّة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

فيعجب على المفسر مرااعًا في بيان معاني القرآن الكريم، واستباط حكمه وأحكامه، والتحريج بين أقوال المفسرين عند التعارض، وأن لا يفسر في دائرة المعاني الحرفية للأفكار صارفاً نظراً عن المقاصد العامة له، يقول الشاعر: «القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي، كما أن لم يعرف مقاصدها لم يقبل له أن يتكلم فيها». ١

فالنظر في النصوص الشرعية في ضوء مقاصدها أمر ضروري؛ لأنه يكشف عن الأهداف الحقيقية لها مع بقائه وفياً لمعطياته، واتباعه الواقع هدفاً واجهتهما. ٢ وهو منهج سلكه الصحابة والتابعين والأئمة المتبعون من بعدهم، ولا يزال عليه اليوم منجدون من الأمة، لكن ذلك ضروري بعضه:

الأول: كون المصلحة معتبرة شرعاً، وذلك بأن تكون مندرجة تحت مقصد من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والممال، فكلما يتضمن حفظ هذه الأصول الحتمية فهو مصلحة، وكلاً ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة.) ٣، يقول أبو حامد الغزالي: ونعي بالمشقة: الحضانة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خصه: وهو أن يحفظ عليهم دينهم

١) المواقيس في أصول الشريعة (١٣٣/٣).
٢) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده للدكتور أحمد الرشيدي ص (٣٥)، أساليب المناهج والخطاب في درس القرآن وفسره ص (٢٠١).
٣) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد رمضان صعيد البزني ص (١١٩).
وتفهمهم وعقلهم وسلهم وماهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفهما مصلحة)۱(.

فإذا لم تكن المصلحة معتبرة شرعاً، فلا تكون إلا مفسدة، واتباعه للهوى، وإن ظنها الناس مصلحة، ولا يجوز النظر في آيات القرآن الكريم في ضوئها؛ إذ لو جاز ذلك لصارت شريعة الله محورة بتضمن الناس وأهوائهم، واستحالة إلى البطال.

يقول د. رمضان البولتي: «وليس معنى ذلك أن الشائع قد أهل هذا مصلحة للناس دلت عليها علومهم وتجارمهم، بل المعنى أن تقدير هؤلاء الناس هذه المصلحة لايد أن يكون قد اتصل به نوع من الخلل والفساد، فنحن ننتمي تقدير الناس، ولا ننتمي نصوص الشريعة)۲(.

الثاني: أن لا يؤدي إعمال المصلحة ومراعاتها إلى إهدار نص من النصوص الشرعية؛ لأن النصوص أوعية للمصالح، وهي السبيل لمعرفتها والوقوف عليها نصاً أو استنباطاً)۳(، فإذا هدار النصوص هو تعدي للمصالح، يقول د. محمد أبو عاصي: «مقاسد

(۱) المستقصى في علم أصول الفقه (ج4/ص174)، وننظر: رعاية المصلحة لحم الدين الطوقي (ج2/ص26).

(۲) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (ج7/ص26).


وإما ما هو استنباط: ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث الأرقم بن قيس قال: كنا بالأهوار نقاتل الخوارج، فيننا أنا على خروف غير إذا رحل惩戒ي، وإذا جاء دابته يبهذ، فجعلنا الدابة نتعاذ، وجعل بينها - قال شعبة: هو أبو نزة الأسلمي - ففعل رحل من الخوارج يقول: الذين أفعا بهذا الشيطان، فلم انصرف الشيخ، قال: إن جمعت فوتكم، وإن غزوت مع رسول الله  ست مرات أو سبع غزوات وثمانية، وشهدت تسبيها، وإني إن كنت.
الشريعة ليست خارجة أو مفكرة عن نطاق النصوص ذائقة، بل إن النصوص جاءت لتحقيقها، ومن ثم لا ينبغي أن تفهم النصوص الشرعية أو تؤول تأويلًا بعيدًا عن مقصود الشرع، إذ القاعدة أن "كل نص يحمل تحقيق مقصد إليه ينبغي أن يكون ذلك المقصد عيناً على فهم النص"، ذلك أن الإتيان بمقصد من خارج النص يفهم النص على أساسه يخضى إلى الزيغ والانحراف في التأويل.

فالنظر في النص القرآني في ضوء المقصود الشرعي للكشف معانيه أمر ضروري، وذلك ما حدث بالجابري أن يتخذ ذلك المنهج؛ أي: المنهج المقاصدي ليجعل القرآن الكريم معناً لنا، يقول: "المبدأ الوحيد الذي كنا (أي: الصحابة) يراعونه دوما هو المصلحة، ولا شيء غيرها".

لكن الجابری –المدرسة العلمانية عامة- إذ يتخذ هذا المنهج، إذا اتخذ للفهم أو المقولية، وإنما يتجاوز النص القرآني، توظيفه له توظيف فاسد، وفساده من وجهين:

الأول: أنه لا ضابط للمصلحة عنه، فتلك العبارات الفضفاضة، التي أطلقها ك"حاجات العصر، ومشاكل العصر، وثقافة العصر" مأخها الأبهرين عن جادة الطريق في التعامل مع نصوص القرآن الكريم إلى ما يملأه الهوى.

الثاني: أن المصلحة إذا تعرضت مع نص، قدم المصلحة على النص;

فإعمال المصالح حينئذ يؤدي إلى إهدار النصوص، يقول الجابری فيما لا نسب فيه: فكثيراً ما يجدوا (أي: الصحابة) يتصرفون بحسب ما يملأه المصلحة صارفين النظر عن النص حتى ولو كان صريحاً قطعياً إذا كانت الظروف الخاصة تقتضي مثل هذا التأجيل للنص.

(1) مقالان في التأويل د. محمد سالم أبو عاصي ص (149). (2) الدين والدولة وتطبيق الشريعة ص (12). (3) المرجع السابق ص (12).

- 30 -
وذلك من الافتء على صحابة النبي ﷺ، فننا사를، فلم يقع في نطاق النصوص.

فذلك المنهج الذي سلكه الجابری ليجعل القرآن معاصرًا لنا، أدى به إلى إهدار النص القرآني وجعله من التراث الذي يجب تجاوزه ليستبدل به الثقافات الغربية الحديثة. من الأمثلة على ذلك: ما قاله في عدة موثوق عنها زوجها في قول الله تعالى:

والذين يتوفرون مكرودون أرجابين بتثنين بإفريسي أردة أقحارة شماد (1)

يقول: وضعته (العدة) تجنيبا لاختلاط النسب وما يتولد عنه من منازعات، وإذا حددت بأربع عشرة وسنت وفئة زوجها؛ لأنه لم يكن من سبيل لمعرفة ما إذا كانت حاملًا من زوجها الموثوق أم غير حامل غير التقدير الذي يقوم على مراقبة الحيض ...

الخ، أما اليوم فعلم الحديث قادر على التعرف على حال المرأة في أي لحظة» (2).

ومراده: أن إذا كانت الحكمة من الأمر بالتربيص هو تجنب خلط الأنساب، فإن العلم الحديث اليوم قادر على التعرف على حال المرأة في أي لحظة، فلا حاجة لتربيص المرأة حينها.

فانت تراه قد أهدر النص على أعتاب فهمه هو الذي يعتبره من المقاصد؛ وسبب ذلك أنه حلت بين علامة الأمر بالتربيص، وبين الحكمة منه. فعالية من الأمر بالتربيص هي كون المرأة قد توفي عنها زوجها المخلوص عليها باسم الموصول وصلته، والحكمة منه وهو تجنب خلط الأنساب. والحكمة إذا بدأ مع علاتها لا مع حكمته؛ إذ العلة متضطبة، والحكمة غير متضطبة. وقد تظهر الحكمة وقد لا تظهر، ونحن متاعبون بالحكمة لا بالحكمة.

كما أن الحكمة قد تتراحم في حكم واحد، فيما تظهر حكمة وتخفى آخر، وهذا محل اعتلاء واحترام؛ ليظهر المؤمن الفقيه من المؤمن الضعيف.

وهذا يقال هنا: إن الحكمة من الأمر بالتربيص غير محبوبة في تجنب خلط الأنساب، بل تعدى ذلك إلى ما ذكره ابن القيم -رحه- حين قال: قال شيخنا: والصواب أن يقال: أما عدة الخوف فهي جرى لانقضئ النكاح، ورعاية حق الزوج، وهذا تحد الموثوق عنها في عدة الوفاة رعاية حق الزوج، فجعلت

(1) النبيوة النشأة والمهام عرض وقت للدكتور محمد عبد الله بلغفرر (242/166).
(2) فهم القرآن الحكيم (279/23)، بتصريف.
العدة حريماً لحق هذا العقد الذي له خطأ وشأن، فبحصل لهذه فصل بين نكاح الأول ونكاح الثاني، ولا يتصل الناكحان، إلا ترى أن رسول الله ﷺ لما عظم حقه حزنت نساؤه من بعده، وهذا اختصر الرسول ﷺ، لأن أزواجه في الدنيا هن أزواجها في الآخرة، خلاف غيره (1).

وقال أيضاً: «وليس المقصود من الإحداش على الزوج الميت مجرد ما ذكرتم من طلب الاستيراء، فإن العدة فيه لم تكن مجرد العلم براءة الرحم، وهذا يبحث قبل الدخول، وإنما هو من تعليم هذا العقد وإظهار خطره وسوءه، وأنه عند الله يمكن، فجعلت العدة حريماً له، وجعل الإحداش من تمام هذا المقصود وتأكيد، ومزيد الاعتناء به، حتى جعلت الزوجة أولى بفعله على زوجها من أبناها وأبناها وأبنها وأبنها وأبنها وأبنها، وهذا من تعليم هذا من تعليم هذا، ومن الناس من يقول هو تعد لا يعقل.

معناها، وهذا فاسد لوجهين:

أحدهما: أنه ليس في النسية حكم إلا وله حكمة وإن لم يعلق على كثير من الناس، أو أكثرهم. الثاني: أن العهد ليست من العبادات المحضة بل فيها من المصالح رعاية حق الزوجين والولد والناتج... "ه(1).

وبهذا الحكم أيضاً: ماأثبت العلم الحديث -الذي اكتسب إليه الجابر وجعله بديلاً للنص القرآني- أن للسائل المئوي للرجل بعضة، تختلف من رجل لآخر، يحترسًا مصداقاً.

رحم المرأة، ولا يمكن التخلص منها إلا بعد ثلاثة أشهر من الوقائع (2).»

(1) زاد المعاد في هيدي خير العباد: 590.
(2) زاد المعاد في هيدي خير العباد: 592.
(3) تقلت صفحه "دنيا الوطن" عن جريدة "الصغيرون" أن العلم الأمريكي روبرت غيلهم زعيم اليهود في معهد أليا بورشين، والمحترف في علم الأحياء - نقلت عنه أنه أثبت أن للسائل المئوي عند الرجل بعضة تختلف من رجل لآخر كبصمة الأصبع وبصمة العين، وتحرر جماع الجرح، ويرتغال رحم المرأة تلك البصمة. ولا يمكن تخلص منها إلا بعد ثلاثة أشهر، وهذا بين الحكمة من تحديد عدد المطلقة بثلاثة أشهر تقريباً.

أما تحديد عدد المطلقة عنها زوجها بأربعة أشهر وعشراً فلان المرأة التي توفي عنها زوجها غالبًا ما يسمى عليها حالة من الحزن مما يسبب ضعفاً في المناعة لديها لم ترتنب عليه ببطء في عملية تخلص الرحم من بحصة السائل المئوي المحترس.

موقع صفحه "دبا الوطن":
ثانياً: المنهج البينيوي.

طرق الجابرية أبواب المنهج البينيوي ليجعل القرآن الكريم معاصرًا لنا، محكومًا بثقافة القراء، ويفهم: "إن النظرة البينيوية باهتمامها بالكل أكثر من اهتمامها بالأجزاء، ونظرًا إلى الأجزاء في إطار الكل الذي تتسم إليه ضرورة لاستكمال رؤية أعمال وأعماق، ولكنها وحدها لا تكفي، بل لا بد من المزاوجة بينها وبين النظرة التاريخية .... هذه المزاوجة بين المنهج البينيوي والمنهج التاريخي والطروح الأبديولوجي الواعي هي الأساس المنهجي المؤدية التي تحاول أعمادها في معالجة بعض مشاكلنا الفكرية".(1)

مفهوم المنهج البينيوي.

المنهج البينيوي هو منهج أدبي يعتمد في دراسة النصوص على العلاقة الداخلية للنصوص، بعيدًا عن محيطه الخارجي، وبعيدًا عن مؤلفه.

ويمكن صياغة مفهوم البينيوية، فيقال: هي منهجية تقييدية تحليلية، تقوم فلسفتها على اعتبار النص الطليان بين محيطه الخارجي والتأثيرات الأخرى، فهي تنظر إلى تلك الظواهر من الداخل، وتفترض أحيانًا مغلفة على ذاك البينيوية.(1)

يقول د.محمد عمار: "ولقد طغت الهيبوتوتية هذا المنهج في قراءة النصوص على كل ألوان النصوص، الدينية منها والبشرية، ولم تظهر النص المؤلف بين محكم لا يقبل التأويل، وبين متشابه يقبل التأويل، كما لم تضع من الضوابط للتأويل ما ينعد ثوابت المعاني والقيم والأخلاق والعادات من هذا الاجتهاد الهيبوتوتي لمعاني النصوص.(2)

ولعل أبرز سمات هذا المنهج أنه لا يلقينا بالأخصائ النص؛ أعني: كونه نصاً رياضياً أو نصاً بشرياً، ولا بمحيطه الخارجي، ولا يفصح المجال للقارئ أن يفهم من النص ما يشاهده من المعاني، بل يقل نهجه عليه كيانه الثقافي والنفسي والعصري، وبالأخير أنه: لا قصد لقائي، ولا ثبات لمعنى.

__________

(1) التراث والحداثة ص(43).
(2) البينيوية النشأة والمفهوم عرض وفقه لدكتور محمد عبد الله بلغفير، (12/6/242).
(3) قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص(4/1).
وحتى يتم لهم ذلك، لا بد من اتخاذ خطط رئيسين:

الأولى: تفكيك النص; أي: زعزعة النقطة فيه مما كانت طبيعته بما يمكن أن يثيره القارئ من تساؤلات حوله.

ثانية: إعادة بنائه; أي: إلقاء النص بحيث ما يمكنه القارئ من مواهب عقلية ولغوية.

إن اتخاذ البياني منهجاً نقدياً ربما كانت له نور -قبلها البعض- في النصوص الأدبية، لكنه لا يتلاهم فعلاً وطبيعة النص القرآني؛ لأن نص ربي مقدس، وحقيقة مطلقة، لا يقبل التشكيل أو النقد.

ولأن أساس القرآن الكريم يسم بالجمع في التعبير بين الجمل والمفصل، والجمل -كما عرفه الأصوليون: ما لم تتضح دلائله-، بل معاً متوقف على غيره، والرد ب"غيره" هو السياق الداخلي والخارجي للنص، فاستبعاد السياق الخارجي من آيات أخرى وأحاديث ودلائل اللغة والاقتضاء على السياق الداخلي يجعل الجمل كالمهم، من الخطاب، بل يجعله عرضة لتجDat، سدمة لا ضابط لها. إذا حاجة النص إلى السياق الخارجي لا تكون أهمية عن سياقه الداخلي.

وإذا كان فهم النص القرآني فهما صحيحاً متوقفاً على سياقه الداخلي والخارجي معاً، لا ينفك أحدهما عن الآخر باي حال من الأحوال.

كما أن الاقتضاء على السياق الداخلي فقط يتناول مع مهمة البيان التي أوكلها الله تعالى لنبيه- تعالى بقوله: ﴿ودَرْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لَاتُدْلِّي لَهُ الْبَيَانَ إِلَّا مَعَهُ إِلَيْهِ ﴿، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ ﺑَيِناءً إِلَّا ﺑِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَنَّكُمُ الْآخِرَاتَ إِنَّكُمُ لَمْ تَسْتَمِعُوا﴾.

وينقاط أيضاً مع قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ ﻋَلَى ﺍﻵヤَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ ﻋَلَى ﺍﻵ ياَهُ﴾ (1) ومعروف أن العربية كثيراً ما تعتمد على القرائن الخارجية للنص لكشف معانيه، فاستبعاد السياق الخارجي خروج عن سنن التعبير والبيان.

(1) أمام الجامع في أصول الفقه لنتيج الدين السبكي ص(55).
(2) سورة النحل، من الآية: 44.
(3) سورة النحل، من الآية: 46.
(4) سورة إبراهيم، من الآية: 45.
(5) ميمان النحّاء: 34.
فالمجاور حاول جاهدا في أبعاد النصوص، وانتراعها من سياقها العام، ليحملها ما لا تختمله مما أنتجته فلسفة العالم العربي وثقافته على أيدي مفكريها أمثال: كانت وفود وباحث وألويس وفوكو وغيرهم، وتعبيره هو: "أصبح الفكر المعاصر لا ينفس بدوغاً" (1).

بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إنه يريد أن يلقو ماضي الحضارة الإسلامية بلون الحاضر الأوروبي، ويلبسها رداءه، يقول: وحاضر الغرب الأولي الذي يفرض نفسه ك"ذات" للعصر كله، للإنسانية جميع، وبالتالي ك"أساس" لكل مستقبل ممكن، الشيء الذي جعل نفسه ينسحب على الماضي نفسه، يلقوه بلوغه (2).

1- استدعاء دلالات السياق السابقة واللاحقة، فقد سبق قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا... إذ أشترتم من صف الليل، واختلفوا في الآية -كما زعم- للهود، فهم مسلمون يحكم التنوير" (3)، ويدخل في هذا الوصف النصاري أيضاً، فهم مسلمون يحكم الأجنبي.
2- فهم القرآن الكريم (3/169).
3- سورة آل عمران، الآية: 85.
4- فهم القرآن الكريم (3/145).
5- سورة آل عمران، من الآية: 80.
6- فهم القرآن الكريم (3/144).
ترتب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجاحري

وقوله تعالى -فيما بعد-: ۱۷۳۰۷۳۰۷۴۰۷۵۰۷۶۰۷۷۰۷۸۰۷۹۰۸۱۰۸۲۰۸۳۰۸۴۰۸۵۰۸۶۰۸۷۰۸۸۰۸۹۰۹۱۰۹۲۰۹۳۰۹۴۰۹۵۰۹۶۰۹۷۰۹۸ ۱۰۹۵۰۱۰۶۰۱۰۷۰۱۰۸۰۱۰۹۰۱۱۰۰۱۱۱۰۱۱۲۰۱۱۳۰۱۱۴۰۱۱۵۰۱۱۶۰۱۱۷۰۱۱۸ ۱۱۹۰۱۲۰، فلعلني حسب الآية هم أهل الكتاب من اليهود والعبد، کلهم نزاع بينهم، وکلهم شهد كلاهم أن محمد هو الرسول المبشر به عندهم.(۱)

كذلك قوله: ۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰ ۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰۱۲۱۰(۳) الفتحات لله، والمواد بالبر: التوبة التي تتيحها الحياة(۲) بيد ذلك أنه يكفيهم لدخول الجنة الاعتراف -بحد الاعتراف- يكون محمد نبياً، ثم التصدق مما يحبون.

۲- استدعاء الواقع العملي، فقد اعترف الإسلام باليهودية والنصرانية، وفرض عليهما الجزية مقابل الركاء على المسلمين.

وإذا دعاهم محمد إلى دين إبراهيم بعد فشل جههته في دعوهم إلى الإسلام مبدأ هجرته، حيث كشفت له حقيقة أنه "لن ترضى عناك اليهود ولا النصارى حتى تتبع منهم"(۱).

المناقشة والرد:

أولاً: لا خلاف في ضرورة الأخذ بالسياق في فهم الآيات القرآنية، فلا يقبل من مفسر تجاوزه، ولا يجوز حصره في السياق الخاص بورود الآية: «السياق واللاحق منها فحسب، وإنما تجب مراعاة السياق الخاص بورود الآية والسياق العام لجميع آي القرآن الكريم وسوره.

وقد شهدت الجاحري نفسه، حيث استدعى عبارة الإمام الشاطبي: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلًا في الفهم على المكية، وكذلك المكية بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، ولا لم يصح(۷)."
فالقرآن الكريم كان لا يتزايد في ضوء أوله، وأبوه في ضوء آخره، فحاص السياق في السياق الخاص أمر حائز على جرارة، وسبب في التأويل الباطن للقرآن الكريم، وهو ما اقترب الجاحري؛ إذ فسر الدين بين إبراهيم القطب.

والآيات القرآنية ناطقة بما لا يسهو محاولاً لتأويل الجاحري أو غيره أن اليهود والنصارى لا يقبل منهم دين ما لم يؤمن بالسماحة ويبعد عنهم تأويلهم، قال تعالى:

وَلَوْ أَحَلَّ الْسَيْبَاتُ، فَأَسْتَرْأَعُوهَا وَأَغْرُقُوهَا عَنْهُمْ سَيْبَاتُهَا وَلَا أَحَلَّهُمْ جَنَّتَهَا حَتَّى يُغْفِرَ لَهُمْ.)

فالآية قد نفت عنهم الإيمان مطلقًا، لعدم إيمانهم بالسماحة.

وقال جل شأنه: "َأَيُّهَا الْأَشْهَادُ أَتَطَوَّبُونِي إِلَىٰ هَذَا الْكَسْبِ ۖ وَإِلَىٰ مَعِيْنَةٍ أَيُّهَا الْأَشْهَادُ "، فمعنى قوله: "لَنْ يُسْأَلَّنِيُّهَا"، لا يعد بشيء مما أتم عليه حتى تقيموا النزول والأخيل، والقرآن، وهو المراد بما أنزل إليكم من ربك.

وأحاديث النبي أيضاً ناطقة يطلب الحقية، من ذلك قوله: "وَأَلَّذِي نُفْسُ مَخْدُودًّ يَدَعُهُ، لا يسهمِ بِأَحَدٍ مِن هذِهِ الرَّجُوْناَ ﻷَفْشُودُونِ ﻷَنْفَضُواُ، ﻟَمْ يُمْوتُ وَلَمْ يُؤْمِنُـْ نُذْيِذُ أَرْسَلْتُ بِهِ ﻷَكَانْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ".

ثانياً: أن السياق الخاص الذي أخذ به الجاحري قد وضعه في غير موضعه، وحمله على غير علماء.

قوله تعالى: "مَا سَأَّكَنَّكُمُ ﺑِأَنْفُسِكُمْ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرًٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرًٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ" هو بيان لعهشة النبيين والمرسلين عامة من بدن أدم زمن حافظهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو رد على مزاعم النصاري خاصة الذين ادعوا أن عيسى عليه السلام فالفصباب فيها "أَيُّهَا الْأَشْهَادُ أَتَطَوَّبُونِي إِلَىٰ هَذَا الْكَسْبِ ۖ وَإِلَىٰ مَعِيْنَةٍ أَيُّهَا الْأَشْهَادُ "، فمعنى قوله: "لَنْ يُسْأَلَّنِيُّهَا"، لا يعد بشيء مما أتم عليه حتى تقيموا النزول والأخيل، والقرآن، وهو المراد بما أنزل إليكم من ربك.

وقال جل شأنه: "َأَيُّهَا الْأَشْهَادُ أَتَطَوَّبُونِي إِلَىٰ هَذَا الْكَسْبِ ۖ وَإِلَىٰ مَعِيْنَةٍ أَيُّهَا الْأَشْهَادُ "، فمعنى قوله: "لَنْ يُسْأَلَّنِيُّهَا"، لا يعد بشيء مما أتم عليه حتى تقيموا النزول والأخيل، والقرآن، وهو المراد بما أنزل إليكم من ربك.

وأحاديث النبي أيضاً ناطقة يطلب الحقية، من ذلك قوله: "وَأَلَّذِي نُفْسُ مَخْدُودًّ يَدَعُهُ، لا يسهمِ بِأَحَدٍ مِن هذِهِ الرَّجُوْناَ ﻷَفْشُودُونِ ﻷَنْفَضُواُ، ﻟَمْ يُمْوتُ وَلَمْ يُؤْمِنُـْ نُذْيِذُ أَرْسَلْتُ بِهِ ﻷَكَانْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ".

ثانياً: أن السياق الخاص الذي أخذ به الجاحري قد وضعه في غير موضعه، وحمله على غير علماء.

فقوله تعالى: "مَا سَأَّكَنَّكُمُ ﺑِأَنْفُسِكُمْ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرًٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ" هو بيان لعهشة النبيين والمرسلين عامة من بدن أدم زمن حافظهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو رد على مزاعم النصاري خاصة الذين ادعوا أن عيسى عليه السلام فالفصباب فيها "أَيُّهَا الْأَشْهَادُ أَتَطَوَّبُونِي إِلَىٰ هَذَا الْكَسْبِ ۖ وَإِلَىٰ مَعِيْنَةٍ أَيُّهَا الْأَشْهَادُ "، فمعنى قوله: "لَنْ يُسْأَلَّنِيُّهَا"، لا يعد بشيء مما أتم عليه حتى تقيموا النزول والأخيل، والقرآن، وهو المراد بما أنزل إليكم من ربك.

وأحاديث النبي أيضاً ناطقة يطلب الحقية، من ذلك قوله: "وَأَلَّذِي نُفْسُ مَخْدُودًّ يَدَعُهُ، لا يسهمِ بِأَحَدٍ مِن هذِهِ الرَّجُوْناَ ﻷَفْشُودُونِ ﻷَنْفَضُواُ، ﻟَمْ يُمْوتُ وَلَمْ يُؤْمِنُـْ نُذْيِذُ أَرْسَلْتُ بِهِ ﻷَكَانْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ".

ثانياً: أن السياق الخاص الذي أخذ به الجاحري قد وضعه في غير موضعه، وحمله على غير علماء.

فقوله تعالى: "مَا سَأَّكَنَّكُمُ ﺑِأَنْفُسِكُمْ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرًٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ ﻛَبْرٍ " هو بيان لعهشة النبيين والمرسلين عامة من بدن أدم زمن حافظهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو رد على مزاعم النصاري خاصة الذين ادعوا أن عيسى عليه السلام فالفصباب فيها "أَيُّهَا الْأَشْهَادُ أَتَطَوَّبُونِي إِلَىٰ هَذَا الْكَسْبِ ۖ وَإِلَىٰ مَعِيْنَةٍ أَيُّهَا الْأَشْهَادُ "، فمعنى قوله: "لَنْ يُسْأَلَّنِيُّهَا"، لا يعد بشيء مما أتم عليه حتى تقيموا النزول والأخيل، والقرآن، وهو المراد بما أنزل إليكم من ربك.

وأحاديث النبي أيضاً ناطقة يطلب الحقية، من ذلك قوله: "وَأَلَّذِي نُفْسُ مَخْدُودًّ يَدَعُهُ، لا يسهمِ بِأَحَدٍ مِن هذِهِ الرَّجُوْناَ ﻷَفْشُودُونِ ﻷَنْفَضُواُ، ﻟَمْ يُمْوتُ وَلَمْ يُؤْمِنُـْ نُذْيِذُ أَرْسَلْتُ بِهِ ﻷَكَانْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ".

ثانياً: أن السياق الخاص الذي أخذ به الجاحري قد وضعه في غير موضعه، وحمله على غير علماء.
الله الآية، وِيَنْبِئُهُ وِيَقْصِفُ مَخَاطِبَهُ بِالأِسلامِ مَتْلُهُ وَعَلِيَّٰهُ مَطْلُقًٰ، وَرَجُحَ الرِّجْلالِيِّي هَذَا الْوَجْهُ (١).

وَصَلَّى لِلِهَوْدَ وَالنَّصَارَى، وَيَوْدِه مَنِئَةُ البَضَاءِ مِنَ الِهِوْدَ وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ الْجَزَائِرِ.

قَالَ أَبُو رَافْعَةُ الْقُرَطْيَةِ حُنَيْنَ أَجْتَمَعُتُ الأَهْلُ مِنَ الْهَوْدَ وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ الْجَزَائِرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدُعُوَّاهُمُ إِلَىِّ الْإِسلامِ: أَتَرَى أَنْ أَخْطَبَهُ فَأَحْمَدَهُ كَمَا ثَبْتَ النَّصَارَى عَيْنَيَّ بِمَرْبُودٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَزَائِرِ تَرَى مَنْ اجْتَهَدَهُ، فَأَذَّنَ مَنْ كَيْبَهُ شَفَاءُ نَضْرَتِهِ، يُحَمِّدُ وَيُلْفَّي بَيْنَ الْأَسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ (٢)، فَمَا كَانَ أنْ يَلْغَيُّوهُمُ الْأَمْرُ، وَلَا أَنْ يَقْتَلُوهُمُ الْأَنْبِياءُ، وَإِذَا وَقَعَ ذَلَّلُهُ مِنْ أَسْلَامِهِ، فَخَوَّفُوهُ مَا فَعَلَهُ.

وَوَصِفْهُ بِالمَسْلِمِينَ، وَقَصَّ لَغَوِيًّا، فَحُمِيمَ مِنْ دَانِ اللَّهِ تَعَالَ بِذَنَبِ الْحَقِّ فَهُوَ مُسْلِمُ.

وَوَقَعَ كَلِّی تَوَصِّفُهُ بِالمَسْلِمِينَ لِيْسَ وَصَفًا مَطْلَعًا، فَلَا يَسْتَقِيمُ الأَسْتَدْلَالُ بِهِ عَلَيْ كَوْنِ الِهِوْدَ وَالنَّصَارَى الْيَوْمَ عَلَى دُنْيَةِ الْحَقِّ.

أَمَّا فَوْقَهُ، فَقَالَ: "سَبَدَنَّهُ اللَّهُ قَدْ أَحْكَمَ أَنْ يَعْبَدَهُ أَهْلُ الْجَزَائِرِ حَيَّةً، فَالْأَلَّهَةُ حَيَّةٌ عَلَيْهِ، أَلَّا تَرَى أَنَّهُ أَجَابَهُ عَلَى أَنْ أَخْطَبَهُ فَأَحْمَدَهُ كَمَا ثَبْتَ النَّصَارَى عَيْنَيَّ بِمَرْبُودٍ، فَكَفَى فِي ضَمْرٍ طَيْبِهِ، يُحَمِّدُ وَيُلْفَّي بَيْنَ الْأَسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ (٣)، فَمَا كَانَ أنْ يَلْغَيُّوهُمُ الْأَمْرُ، وَلَا أَنْ يَقْتَلُوهُمُ الْأَنْبِياءُ، وَإِذَا وَقَعَ ذَلَّلُهُ مِنْ أَسْلَامِهِ، فَخَوَّفُوهُ مَا فَعَلَهُ.

عَنْدُ مِنِّ يَضْعُونَ الْآيَاتِ بِعَجْرِ مَوْضُوعَهَا.

(١) الكِتَابُ لِلْأَنْبِيِّيِّ (٢/٥٧٥) (٢) حَاشِيَةُ الطَّيِّبِّيَّ علىِ الكِتَابِ (٤٩/١٦١)، وَتَفْسِيرُ الْمِفْتَرِيِّ لِلْفَقَارِيَّ مُحَمَّدُ ثُمَّانِيَّةُ اللهِ العَظِيمِ (٢/٤٤)، وَتَفْسِيرُ المَظْهِرِيِّ لِلنَّسِابِيَّةُ (٢/٨٣). (٣) سَوِيَةُ البُنْجَةِ، مِنْ الْأَلَّهِيَّةِ: ٩١، ٩٢.
ترتيب سورة الرسالة

الخليج الأول من العدد السادس والثلاثين حول كتابة الدراسات الإسلامية والعربية في النباتات بالإسكندرية

كذلك قوله تعالى: "لا دليل على كون الخطاب فيه لليهود؛ بل هو خطاب للمؤمنين، وارد على سبيل الاستطراد، فقد بنيت الآيات السابقة أن النفقة يوم القيامة لتنفع الكافرين، فلو اقتدى أحدهم بمثل الأرض ذهباً لن يقبل منه، بل في هذه الآية أن ما ينفع المؤمنين هو النفقة في الدنيا مما يحبون، فلا يستقيم الاستدلال بالآية على أن دخول اليهود الجنة معلق بنفقاتهم مما يحبون، لا بإجماع محمد ﷺ.

وخلاصة القول: أن السياق الخاص والعام دليل على أن المراد بالإسلام في هذه الآية هو: الدين الذي يعت به محمد ﷺ عقيدة وشريعة، وأن من دان بغيره فهو كافر، قال تعالى: (أناُّ أُصِيبُ لِمُكَثَّرَيْنِ يَكَبَّرُنَّ اللَّهُ وَأَنَاُّ أُسَبِّحُهُ مَّا كَتَبَ اللَّهُ وَارْكَابُهُ وَأُنْصِرُهُ مَّا كَتَبَ اللَّهُ وَارْكَابُهُ وَأُنْصِرُهُ). وقال جابر: (أناُّ أُصِيبُ لِمُكَثَّرَيْنِ يَكَبَّرُنَّ اللَّهُ وَأَنَاُّ أُسَبِّحُهُ مَّا كَتَبَ اللَّهُ وَارْكَابُهُ وَأُنْصِرُهُ). وألف العبده قد أخطأ خطأ فاحش حين عزل الآية عن سياقها العام في القرآن الكريم كله، وحملها على غير محدود.

وأولى الشواهد كثيرة على اختلاف الجابر في نظرته للقرآن الكريم كله، وفي تعامله مع نصوصه فهماً وتفصيلاً، وكيف أنه كان ينزع الآيات من سياقاتها العام، وينظر إليها نظرة تفكيكية، ليبسطها ردًا حاكة بعقله وثقافة الأوربية، ليحملها بعد ذلك على غير محدود، ويضرب نصوص القرآن بعضها بعض.

1) سورة آل عمران، الآية: 70.
2) سورة آل عمران، الآية: 98.

39
المبحث الثاني

ترتيب سور القرآن الكريم

وفق زمن نزولها بين القبول والرد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره وآيات أقوال العلماء.

المطلب الثاني: وجب المحافظة على ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف الشريف.

المطلب الثالث: أبرز من مرتب سور القرآن الكريم ترتيباً مرتبطةً، والهدف منه.
المطلب الأول: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره في أقوال العلماء.

أولاً: ترتيب آيات القرآن الكريم.

أجمع الأمة على أن ترتيب الآيات في سور القرآن الكريم تويقيفاً صادراً عن رب العزة سبحانه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، وقد نقل هذا الإجماع كثير من الأئمة، ومنهم: الباقلاوي، وابن الزبير الغزاتي، والزرักษي، والسيوطي.

وقد ساق الأئمة أداة كبيرة على ذلك الإجماع من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة وعملهم، ولم كان الموضوع محل إجماع أغنى ذلك عن إعادة القول فيه.

ثانيا: ترتيب سور القرآن الكريم.

أما ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف فقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه كان ترتيبه عن النبي ﷺ؛ وهو قول كثير من العلماء(1)؛ وعزاه الألوسي والدكتور محمد عبد الله دراز إلى الجمهور(2).

الأثني: أنه كان باجتهد من الصحابة (3)، وهو رأي الجمهور؛ عزاه إليهم القاضي عياض والزرخشي والسيوطي(4).

(1) براعم الاتصال للقرآن للقاضي الباقلاوي: 1/ 181، والبرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر بن الزبير الغزاتي: ص 79، والبرهان في علم القرآن للزرخشي: 1/ 256، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص 81، والإلقان في علم القرآن له: 1/ 211.

(2) ذهب إلى هذا القول: أبو حجفر النحاس، وابن الحصار، وابن عمر الندائي، والكركماني، والغوزي، وابن الزبير، والطيلي، وسدر الدين الزرخشي، وعلي الدين الملوتي، وغيرهم كثير (ترتيب سور القرآن الكريم للدكتور طه عابدين طه ص 208).

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (27/10)، النقد الفني الشروعي ترتيب القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز (ص 37)، مقابل نشر في مجلة كنز القرآن - العدد الأول والثاني - السنة الرابعة.

(4) إكمال العلم بوقائع مسلم للقاضي عياض (137/3)، البرهان في علم القرآن للزرخشي (1/ 257/1).
وقد أرجع الإمام الزركشي أرجع الخلاف بينهما إلى الخلاف النفسي(1)، حيث كان اتجه الصحاابة بناءً على إشارات نبوية قرآنية أو فعلية، جمعتهم على هذا الترتيب الذي أجمعوه، فلم يجدون واحدًا، وهو أنه كان بتوقف من النبي ﷺ تصرحاً أو استنباطًا من فعله.

الثالث: أنه توقف إلا سوري الأنفال والندبة، فإنه كان باجتهاد من عثمان ﺎ‏ ﻣ‌(2) وهذانرأي الإمام الذهبي، ومنه إليه ابن عطية وأبن حجر السقالي(3).

ولكل مذهب أدلته التي استند إليها فيما ذهب إليه، وليس من مهمة هذا البحث سردها ولا مناقشتها(4).

---

(1) البرهان في علوم القرآن للكركشي(1/1), وينظر: نظم الدرر (5/8/22).
(2) المحرر الطويل (1/1), فتح الباري (9/42).
(3) نشرت بعض هذه المقالات بأدلة، منها:
- ترتيب سور القرآن الكريم للدكتور طه عابدين طه ص (78)، والبحث منشور بحلقة البحوث والدراسات القرآنية، العدد التاسع.
- ترتيب آيات وسور القرآن الكريم للدكتور محمد أبو زيد أبو زيد، والدكتور عمر محمد الفراوي.
المطلب الثاني: واجب المحافظة على ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف الشريف

افتق العلماء على أنه يجب اتباع ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف الشريف كتابة ورثماً، لأنما أجمع عليه الأمة، والإجماع حجة ملزمة، ولأن مخالفته يفتح باب الفتنة، وفيه انتهاك لقداسة القرآن الكريم وعظمته، ويفوت ما اشتم عليه هذا الترتيب من جوهر بنانية.(١)

لكنهم اتفقوا على حُواض مخالفة الترتيب في باب العبادة واللقين والدرس والتعليم

للآثار الواردة في هذا الباب، يقول أبو بكر الباقلاطي: (واعلموا -روحكم الله- أن من قول من أهل العلم إن تأليف سور المصحف كان واجباً عن توقيف من الرسول، لا يقول مع ذلك إن تلقين القرآن وتلاوته والصلاة به يجب أن يكون مرتب على حسب الترتيب الموقف عليه في المصحف، بل إذا يوجب تأليف سوره كذلك في الروم والكتابة، ولا نعلم أحداً منهم قال إن ترتيب ذلك واجب في الصوان المفروضة وغيرها، وفي تلقين القرآن ودرسه، وإنما لا يجل لأحد أن ينطق القرآن قبل البقيرة، ويقرأ في صلاته الحج بعد الكهف، ولا أن يدرس البقيرة ثم يدرس بعد الحبل والرعد، هذا مما لا نعرفه مذهبًا لاحقًا).

وأما بيان على جوهر مخالفة ترتيب المصحف في باب التعب إما الأخرى مسلم في

صحيحه عن حديث حذيفة قال: صلى الله عليه وسلم، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بما في ركعة، فمضى، فقلت: يركع تجا، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آن عمران، فقرأها، وقرأتمسا... الحديث.

فدل فعل النبي صلى الله عليه وسلم مخالفة الترتيب في الصلاة، قال النووي: (لم خالف المواراة فقرأ سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاء بذلك آثار كثيرة).

١) ترتيب سور القرآن الكريم للدكتور ط.ع.م. ط.ع.م. ١٣٨٣.
٢) الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاطي ص ١٨٠/١.
٣) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصها، باب: استجواب تطويل القراءة في صلاة الليل، حديث رقم (٧٧٢)، ط.دار ابن حزم - بيروت.
٤) الشبان في آداب حمل القرآن ص ٩٩، ط.دار ابن حزم - بيروت.
ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجاهلي

وكما يدل على جواز ترتيب المسند في باب التلقين والدرس ما أخرجه البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ، فقال له: وما المحكم؟ قال: الفصل.(١)


وما روي أن عليا -كرم الله وجهه- جمع القرآن الكريم مرة سورة ترتيبا زمنياً، فيدائه بسورة "قرأ"، ثم "المثير"، ثم "نون"، ثم "المزمل"، ثم "التكويب" إلى آخر ما نزل يمكة، ثم ما نزل بالمدينة(٣).

يقول عبد القادر بن مخلد حويش: «حينما تشار الأصحاب (أي: القرآن) على الوجه المذكور أراد الإمام علي -كرم الله وجهه- ترتيب آية وسورة بحسب النزول، لا لأنه لم يبر صحة ما أجمعوا عليه، ولا لأنه -حاشاه- لم يعلم أن ذلك توقفي لا محل للاجتهاد فيه، بل أراد أن تعلم العامة تاريخ نزوله ومكانه وزمانه، وكيفية إنزاله، وأسباب تنزيله، ووقائعه وحالاته، ومقدمته ومؤخرته، وعامة وخصصه، ومطلعه ومقدمة، وما يسمى بسجنه ومنسوقه، باؤر الآية، دون تكلف لمراجعة أو سؤال»(٤).

وخلال القول أن الالتزام بترتيب السور في المصحف العثماني أمر واجب، ولا يجوز مخالفته إلا في باب العبادة أو التلقين والدرس.

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن، حديث رقم (٣٦٥)
(٢) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، حديث رقم (٤٩٣)
(٣) الإتفاق في علوم القرآن للسيستوري ص (١٣٧)
(٤) بيان المعاني لعبد القادر بن مخلد حويش (١/٣)

٤٤
المطلب الثالث: أبرز من ترتيب سور القرآن الكريم ترتيباً زمنياً والهدف منه

بمجرد تأريخ محاولة ترتيب سور القرآن وفق زمن نزولها إلى عصر الصحابة، فقد أثر أن لعلي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- مصباحاً ترتيب فيه القرآن الكريم على النزول، وقدم الناسخ على المنسوب.

وأثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: أول ما نزل من القرآن بмеча.

وأما نزل منه بالمدينة الأولى فأول، فكانت إذا نزلت فاحة سورة بмеща فكتبته بمحا، ثم يزيد الله فيها ما يشاء، وكان أول ما نزل من القرآن: "بأشر زيد أن يحق"، ثم "بأشر زيد أن يحق"، ثم "بأشر زيد أن يحق"، ثم "بأشر زيد أن يحق"، ثم "بأشر زيد أن يحق".

وفي العصر الحديث كان من المفسرين من سلك في تفسيره مسلك الترتيب الزمني

لتنزيل السور، مثل:

- عبد القادر بن مالك حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوق سنة: ١٣٩٨ هـ)، في تفسيره المسمى: "بيان المعاني".

- محمد عزة بن عبد الهادي دروزة (المتوق سنة: ١٤٠٤ هـ) في تفسيره المسمى: "التفسير الحديث".

- عبد الرحمن حسن حنبلة المهداة (المتوق سنة: ١٤٢٤ هـ)، في تفسيره المسمى: "معارج التفكير ودقائق التدبر".

(1) تاريخ القرآن للزجاجي ص(٤٩).
(2) الأثر: "آخره ابن الضريس في فضائل القرآن ص(٣٣)، وفي سنده: عمر بن هارون، وهو متوك (تقريب التهذيب ص٤١٧)
(3) الأثر: "آخره البهقي في دقائق النبوة (١٤٢٧)، وسنده ضعيف، لأن فيه علي بن الحسين بن وفاد القرشي، قال فيه ابن حضر: صدوق بهم (تقريب التهذيب ص٤٠٠).
ولا لغة مختارة القائمة يجب أن أن تُفهم على أن هذا الترتيب لم يَبلغ درجة الجزم به؛ لأنه لم يستند إلى دليل قطعي، وإنما مستند إلى ذلك أشار إلى أن لم يَرتقي معظمها إلى درجة الجزم بمقتضاها، وغاية ما يمكن قوله: إنما استندت إلى ما دل سبب النزول على تاريخ نزول، والذي ارتبطت به الآيات من أنساب النزل لتجاوز عددها ثماني وثمانين وثمانين سورة آية، فعن محمد بن سيرين أنه قال: قالت لعبة: ألفه كَوَا، كما أنزل، الأول فالأول، فقال عكرمة: لن اجتماع الإنس والجنا على أن ينفوه ذلك التأليف ما استطاعوا. قال محمد: أراه صادقاً).

يقول دروزة:«من الحق أن نقول: إنه ليس في الإمكان تعيين ترتيب صحيح لنزول السور القرآنية جميعها، كما أنه ليس هناك ترتيب يثبت بكماله على النقد أو يستند إلى أساسي قوية ووثيقة، وزيادة على هذا فإن في القول بترتيب السور حسب نزولها شيئاً من التحوز».

الهدف من تفسير السور وفقاً لزمن نزولها.

كان غولاء الأعلام الثلاثة من وراء تفسيرهم القرآن وفق زمن نزول السور أهدافاً سامية، تابعة عن الهدف الأساسي لنزول القرآن العظيم الذي تضمنه قوله تعالى:«إنّ هذا النزول يُهدِدُ لِلَّيْتِي هُيَّ أنْ آمَنُوا»، وقوله جل شمله:«إِنَّ حَتَّى أن يُذْهِبَ ﻣَنْ ءَاتِيْرُ فِي اﻟْأَلْبِينَ ﻣَنْ ءَاتِيْرُ ﻣَنْ ﺗُذْهِبُوا ﻋَلَى اﻟْأَلْبِينَ»، وقوله جل ذكره:«إِنَّ ﻓِوَاءَا ﺗُذْهِبَ ﻣَنْ ﺗُذْهِبُوا ﻋَلَى اﻟْأَلْبِينَ».

ويمكن إجمال تلك الأهداف فيما يأتي:

١ - معرفة الجو العام الذي نزلت فيه السورة الكريمة والوقوف عليه، فإن ذلك يساعد على معرفة موضوع السورة وتحليلها والوقوف على ما اشتملت عليه من حكمة وآياتها وإرتاداتها

٢ - معرفة سير الدعوة المحذوفة وأطوارها في العهدين: الملكي والمدني، ومدى ارتباط تلك الأطوار بالسياق الديني، يقول دروزة:«إِنَّ ﻓِوَاءَا ﺗُذْهِبَ ﻣَنْ ﺗُذْهِبُوا ﻋَلَى اﻟْأَلْبِينَ»، وهو الذي يُشتق من النهج الذي اعتقده أنه الأفضل لفهم القرآن وتجديده؛ إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمناً بعد زمناً، كما يمكن متابعة أطوار

(1) التفسير الحديث، (٢) التفسير الحديث، (٣) أخرجه ابن الضيسي في فضائل القرآن.

٤٦
ترتيب سور القرآن الكريم وفقاًً زمن نزوله في فكر الجامعي

التزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق، وهذا وذلك يندرج القارئ في حوض نزول القرآن وجوه ظروف ومناسبة ومواد ومفاهيماته وتجليل له حكمه التزيل。

3- الوقوف على المنهج التربوي الذي سلكه القرآن الكريم في التدرج بالأمة من العقائد إلى الأحكام، ومن الأصول إلى الفروع، يقول عبد الرحمن حنيفة: «وقد رأيت بالتزيل الميداني للصور أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن من ترتيب نزول (أي: ترتيب نزول السور وفق زمن نزوله) هو في معظمه حق، أخذته من تنسل السلماة المعرفي التكامل، وتسلسل التكامل التربوي، واتبعتت في هذين التدريبيو حوالي تعليل حركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الواقعة الشاملة للرسول ﷺ، وللمذين آمنوا به واتباعوا، وللمذين لم يستحيوا لدعوة الرسول ﷺ متركين أو مكتفين كافرين».

4- أنه يعين على تحديد المتقدم من المتارخ، وذلك هو الأساس في التمييز بين الناشئ والمسترخ من آيات القرآن الكريم.

تلك هي أبرز المقصود في سلوك بعض المحدثين هذا المسلك، وهي مقاسدة تعين على تذيب القرآن الكريم وفهم معانيه وحكمه وأسراه.

والخروج على هذه المقصود هو نقص طفلك الأصلي وانتهاك لقداسته العظمى، وهو ما عمل له الدراسات الاستشراقية في الغرب وأذناها في العالم الإسلامي، حيث كان لمستشرقين جهد كبير فيما خصص ترتيب نزول القرآن الكريم زمنياً حتى أن بعض الباحثين أن هذا الباب من بدفهم (٣)، فلم يكن جهدهم ذات الأهداف سالفة الذكر، بل كانت لهم أهداف أخرى، أبرزها ما يأتي:

١- القول بتاريخ القرآن الكريم.

٢- قطع الصلة بين القرآن الكريم ومصدره الرباني، ومحاولة إثبات أنه من افتراض.

٤٧

(١) التفسير الحديث (٢١/١) (٢) معايير التفكير ودفائق التزيل (١/١) (٣) علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسورة للدكتور أحمد خالد شكري، والأستاذ عمرو سليمان نزال ص (٤٧).
3- إنكار حقيقة أن القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة (التوراة والإنجيل على وجه الخصوص) صدرت من مبع واحد، بل القرآن محاولة لإعادة صياغة هذه الكتب في صورة جديدة.

4- تصوير أن محمد ﷺ مصلح اجتماعي، قاد ثورة اشتراكية على النظام الاجتماعي والاقتصادي في مكة.

ما أحدث ردة فعل معادية لما قاموا به لدى المسلمين، فلم تلق بضاعتهم روابجاً بين أهل العلم وعوام المسلمين، وكان على رأس هؤلاء المستشرقين الذين ربطوا سور القرآن ترتيباً زمنياً:

- المستشرق الألماني "جوزيف فالي" (1808 - 1889 م) في كتابه "مقدمة تاريخية تقدية للقرآن"، و "النبي محمد: حياته وتعليمه".
- المستشرق الألماني "تيودور نولدكه" (1836 - 1930 م)، في كتابه "تاريخ القرآن".

- H. Grimme " (1864 - 1942 م) في كتابه "محمّد" في جزأين.
- المستشرق الاسكتلندى "ويلم موير" (1819 - 1905 م) في الجزء الثاني من كتابه "حياة محمد وتاريخ الإسلام".
- المستشرق الفرنسي "ريجيست بلاشير" (1900 - 1973 م).
- المستشرق الإنجليزي "ريتشارد بل"، في الفصل السادس من كتابه "مقدمة في القرآن".

1) دفاع عن القرآن ضد منتقديه للدكتور عبد الرحمن بدوي ص(125)، آراء المستشرقين حول القرآن وتفصيل دراسة تقدية للدكتور عمر إبراهيم رضوان (103/11).
البحث الثالث

ترتيب الجابري لسور القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف الجابري من ترتيب آيات وسور المصحف العثماني.

المطلب الثاني: ترتيب الجابري آيات القرآن الكريم وسوره.

المطلب الثالث: ترتيب سور القرآن الكريم عند المستشرقين وتأثير الجابري عليه.
المطلوب الأول: موقف الجابري من ترتيب آيات وسور الصحف

العثماني

لم تكن المدرسة العلمانية تسلم بالقضايا الإسلامية المبنية على النقل الصحيح والفهم الدقيق، بل ديدنا هو التشكيك في كل ثابت، ولو كان قطعاً، لتنبثق من هذا المنهج أداة هدم للعلوم الإسلامية التي استمرت في وجدان الأمية عبر تاريخها العريق، وخل الطور العلمي الغربي العصر.

فقضية ترتيب الآيات والسور التي طرق الجابري باهما تحدث فيها حديثا حاد فيه عن الجدة بفكر مغلوب وشبه وهمية وأدلة قاسية؛ ليسوع لنفسه بعد ذلك إنشاء ترتيب ارتأه؛ ويشتفس عليه زعمه السائد بتاريخة القرآن، فيتجاوزه إلى العلوم العربية، وحتى لو كان ذلك على حساب المنهج العلمي الدقيق الذي يدعم الالتزام به.

الأول: موقف الجابري من ترتيب آيات القرآن الكريم:

فرق الجابري - وهو يصد عرضاً له في هذه المسألة - بين حالتين لنزول سور القرآن الكريم:

الأولى: أن تكون السورة قد نزلت دفعة واحدة، ففي هذه الحالة جزم الفقه بأن ترتيب آياتاً ترتيب توقفي.

الثانية: أن تكون السورة قد نزلت متفرقة في مدة مختلفة، فترتيب الآيات حينئذ كان بجهته اللاحقة التي شكلها عثمان (1) لجميع القرآن الكريم (2)؛ يقول: وهذا ما يستفاد من رواية ذكرها أبو داود في سنن، تخص الآيتين الأخيرين من سورة النبوي، ولم يكون قد أدرجها فيها عند جميع القرآن زمن عمر بن الخطاب، يقول الرواية نقلن عن الزبير بن العوام: أتى الحارث بن خريجة يحملان الآتيين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أبي سمعتها من رسول الله، ووعيتها، فقال عمر: "أنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال: لو

(1) مدخل إلى القرآن ص (216).
كاننا ثلاث آيات لجعلها على حد، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوها في آخريها، فألحقوها بسورة التوبة"(1).

وين-pdf ببعضهم هذه الحادثة على أن ترتيب الآيات لم يكن في القرآن كله

بتوقيف، إنما كان من عمل الصحابة أيضاً(2).

ثانياً: موقع من ترتيب السور:

أما ترتيب سور المصحف الشريف فقد جزم القول بأنه كان بجهاد من تلك اللجنة.

لكنه إذا يكشف ويخلل المعايير التي قام عليها بيان هذا الترتيب المبارك - يرى أنه ترتيب لا يتعدي المعايير الكمي لطول السور وقصرها، فقدم من السور طولاً - باستثناء سورة الفاتحة - وأخير ما دونها، فقدمت السور الطول، ثم المبين، ثم المائي، ثم المفصل، يقول: وهذا الترتيب من الأطول إلى الأقصر هو المنحني العام، يقع أن هناك استثناءات، وإذا كان من الممكن إخراج سورة الفاتحة من إطار هذا الترتيب بوصفها فاتحة الكتاب كله لتكون البداية من البقرة اعتبارها أول سورة نزلت في المدينة(3).

واستدل على ذلك بحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الألف، وهي من المثنى، وإلى براءة، وهي من المتنين، فقرتم بينهما، ولم تكثروا بينهما مسر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: "ضَعِفَا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَاَ كَذَاَ" وإذا نزلت عليه الآية فيقول: "ضَعِفَا هَذِهِ الآيَةِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَاَ كَذَاَ"، وكانت الألف من أوائل ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت فصيتها سهية بقصتها، ظننت أن لها منها، فقد قسماً السور، ولم يبين لنا أثنا منها.

(1) ضعيف: أخرجه أحمد في مسنده (2/340)، وابن أبي داود في المصاصح ص (111)، وفيه سنه انتقاع، فإن عبادا لم يدرك قصة جمع القرآن، قال الشيخ أحمد شاكر.

(2) مدخل إلى القرآن (ص (217).

(3) المرجع السابق (ص (233).
فمن أحل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، فوضعتهما في السبع الطول.(1)

المناقشة والرد:
أولاً: أما موقفه من ترتيب الآيات:
فقد حاد فيه عن الصواب وخالف إجماع الأمة، ولم يكن مقبلًا منه ولا من غيره الطعن في القضايا القطعية التي تسبق فيها العقل الصحيح مع النقل الصحيح، واتخاذ من الموضوعية العلمية سبيلا لإثباثها، فأي طعن فيها مرده إلى مخالفة المنهج العلمي الدقيق في البحث.

لقد خالف الجابر في أدئم ما يعرف في المناهج العلمية من: الأمانة العلمية في النقل، ومعففة مظان الأدلة، وضرورة ترتيبها، فقد قام الدليل الظلي على القطعي، والضعف على الصحيح، يظهر ذلك مما أتى:
أولاً: أنه عزا آخر الحارث بن خزيمة إلى أبي داود في سناته، وهذا عزو خطأً فالمؤرخ هو ابن أبي داود صاحب "المصاحف"، وليس أبو داود صاحب "السنن".

ولذلك العزو له إحدى دلالتين: إما حواء عقيدته العلمية المتعلقة بعلم الحديث؛ إذ لم يستطيع أن يفرق بين أبي داود صاحب السنن، وبين ابن أبي داود صاحب كتاب "المصاحف"، وإما عدم أمانته العلمية في النقل؛ إذ دلس على قاريءه، فرار الأثر إلى كتاب مقدّم عند علماء الأمة وتنادها على ما دون الصحيحين؛ لروح له لدى قراه، فيستخلص منا ما يسلمون له.

(1) أخرج أبو داود في سننته (٣٤٩/١)، كتاب: باب: من جهر بما (أي: بال()<<لسمة>>، ج (٢٨٦)، والزومدي في سننته (٢٧٢/٥)، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٨٦)، وقال: هذا حديث حسن لا نعلم إلا من حديث عوف، عن زيد النافع، عن ابن عباس، وأخرجه أحمد في المسند (٣٣٢/١)، حديث رقم: (٣٩٩)، وابن جي안 في صحاحه (١/٣٣٢)، كتاب: النحو، نظر ما كان يأم النبي ﷺ كتبه القرآن عند زوال الآية بعد الآية، حديث رقم (٤٣)، والحاكم في - المستدرك (٢/٤٢)، كتاب: التفسير، حديث رقم: (٢٨٧٥)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وأخرجه الطرابلسي في المعجم الأوسط (٧/٣٦٨)، حديث رقم: (٢٦٣٨).
تبنيت سورة القرآن الكريم وفقً زمن نزولها في فكر الجابر.

ثانياً: أنه جمل الأثر من رواية الزبير بن العوام، والحق أنه لم يثبت من طريق واحد أنه من روائه، بل رواه الأعلى هو حفيده عباد بن عبد الله، فهل يحتمل أن يكون عباد قد رواه عن جده الزبير، فتصبح الجابرية بـ؟ أو أن التحمين والحدس؟

ثالثاً: أن هذا الأثر ضعيف عدلنا، فلا ينفع لدرجة الاحتجاج بها.

أما ضعفه من جهة السند، فليسين:

الأول: أنه من رواية محمد بن إسحاق، وهو -على إمامته- مدرس، ولم يصرح فيه بالحدث عن يحيى بن عباد.

الثاني: أنه مرسول، إذ إنه من رواية عباد بن عبد الله بن الزبير، وهو تابعي، وقال فيه ابن حجر العسقلاني: (أما روايته عن عمر بن الخطاب فمسلم فلا تردود).

وأما ضعفه من جهة المتن فلا لأنه منكر لمخالفته الحديث الصحيح، فقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال: "فتمتبت القرآن، أجمع من العصب والرقاع واللخيل وصورة الرجال، ووجدت في آخر سورة النبوة: "لَيْدُمْ يُصَبِّرُ بِهِ ﱟ ﱢ ﱡ ﱠ ﱩ ﱤ ﱨ ﱪ ﱩ ﱪ ﯤ ﯣ ﯢ ﯡ ﯠ ﯟ ﯞ ﯝ ﯝ ﯕ ﯔ ﯢ ﯡ ﯠ ﯟ ﯞ ﯝ ﯝ ﯕ ﯔ ﯢ ﯡ ﯠ ﯟ ﯞ ﯝ ﯝ "، إلى آخرها مع خزيمة، أو أي خزيمة، فالفحصها في سورة (1).

وواضح من قول زيد ذات: "فالفحصها في سورة!

فإنها كانت معروفة، من غير توفيق.

ومخالف أيضاً لما أجمعت عليه الأمة أن تتسبب الآيات في كل سورة تتسبب.

توفيقية من غير تفريق بين سورة نزلت جملة وأخرى نزلت منجمة، يقول الشيخ أحمد شاكر: (وأما حديث عباد بن عبد الله بن الزبير الذي هنا فإنه حديث منكر شاذ، مخالف للمتن الالوانين من الذين بالضرورة أن القرآن بلغه رسول الله أثمة مما عروة من الفصلية، يفصل بين كل سورتين منها بالبسماء إلا في "وجه" ليس لنصر ولا نغرب أن يرتيب فيه شيئاً، ولا أن يضع آية مكان آية، ولا أن يجمع آيات وحدها فيجعلها سورة، ومعاذ الله أن يجول شيء من هذا في خطير عمر (3).

(1) ذئيب الذهبي (5/98).
(2) أخرج البحراي في صحيحه، كتاب الأحكام، باب يستحب للكتاب أن يكون أميناً.
(3) مسند الإمام أحمد (3/41/191).
انية: موقف من ترتيب السور:

أما موقف الجابر尼 من ترتيب السور، فلم يكن -في الظاهر- فيه شكل من

اعتقاد أو فكر، فقد سبقه إلى هذا القول جمل غفير من العلماء.

لكن الجابرني أخطأ، إذ جعل المعيار الرئيس هو المعيار الكمي القائم على طول

السور وصفها، وذلك من وجه:

الأول: أنه إذا كان ترتيب السور اجتهاديا، فإنه لم يكن معيار الترتيب هو المعيار

الشكلي، بل كان اجتهدانا مبنيا على دليل قولي أو فعلي لرسول الله ﷺ، من تلك

الأدلة:

قول النبي ﷺ: "أقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شيفعاً لأصحابه، أقرؤوا

الزخرفون البقرة، وسورة آل عمران، فإنهم تأتيكم يوم القيامة كأنهم غماناً، أو

كأنهم غيايتان، أو كأنهم فرافان من طبر صوان، نحتاجان عنا أصحابهم،

أقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها زرعنا، وتركها خسرنا، ولا تستطيعن البطلة". (1)

فذكرها ﷺ على نسق ترتيبهما في المصحف الشريف.

وقول عائشة -رضي الله عنها-: "إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل

ليلة جميع كفاه، ثم نفت فيهاما فقرأ فيهاما: "ولصلاة أجمعين"، و"ولأعراف أجمعين"، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على

رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، (2). فذكرت السور

الثلاث على نسق ترتيبهما في المصحف الشريف.

وقول ابن مسعود ﷺ في "بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء": "إنهم

من العنايا الأول، وهم من نلادي". (3). فذكرهم على نسق ترتيبهم في المصحف، ولم

يكن ابن مسعود أحد أعماء اللجنة التي شكلها عثمان.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة

البقرة، حديث رقم (804).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، حديث رقم

1705.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ، حديث رقم

4994.
وغير ذلك من الأدلة الكبيرة التي يعز حصرها.

الثاني: أن هذا العمل المبارك الذي قامت به تلك اللجنة المباركة قد بلغ غاية الدقة والإتقان، وقدر الله تعالى له من التوفيق والسداد ما يجعل الإنسان عن وصفه، وأجمع الأمه على تلقية بالقبول والثناء عليهم.

والحق أن هذا الترتيب قد أعجز العلماء المعرفة بدقائه بالإحاطة بأسراره، وقد ألفت فيه مصنفات عدة، ولا يزال يكرا ومبادئه مفتوحاً أمام العلماء والباحثين.

الثالث: أن ترتيب أكثر سور القرآن الكريم لم يكن مبنية على معيار الطول والقصر، فكم من سورة تقدمت في الذكر على ما هي أطول منها، نحو سورة المائدة تقدمت على سورة الأنعام، وهذه تقدمت على سورة الأعراف، وسورة الأنفال تقدمت على سورة السنت، وسورة يونس تقدمت على سورة هود، وسورة الرعد وإبراهيم وحجر تقدمن على سورة النحل والإسراء والكهف، وسورة مريم تقدمت على سورة طه، وتأخرت سورة الشعراء عن سورة الأنباء واحج والمؤمنون والثور والفرقان، وهي أطول منهن، وتقدمت سورها لقمان والسجدة على سورة الأحزاب، وهي أطول منهما...

إلى...

فأين المعيار الكمي المزعوم الذي قام عليه ترتيب السور؟

اللهم إلا في فكر الجابر المغلوط وزعيمه الفاسد، لنقيض ما أجمع الأمه على تلقية بالقبول والإذعان منذ عصرها الأول إلى يومنا هذا.

أما إخراج سورة الفاتحة من إطار هذا الترتيب، فإنن مراعاة ترتيبها ينقض قوله، وذلك من وجه:

- أن قصص السور، وقد قدمت في الذكر على طولها.
- أن ترتيبها في أول الذكر الحكيم ترتيب توفيقفي، دل على ذلك أن النبي سماها "فاتحة الكتاب" مع أننا لم نكن أولما نزل من القرآن (1)، والدليل على

(1) النقد الفني لموضوع ترتيب ص (١٠٢).

٥٥
نظر الشیخ أحمد شاكر: في إسناد نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له بدور إسناده في كل رواياته على “يريد الفارسي”.... ويذكر النحاسي في الضغفاء، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث، ينفرد به، وفه مشكلة في معرفة سورة القرآن.
ترتب سورة القرآن الكريم وفقاً من نزولها في فكر الجابر

وعلى فرض أن الحديث يرثي إلى درجة الصحة -كما ذهب إليه الإمام الترمذي- وابن حبان والحاكم والذهبي وغيرهم من أئمة الحديث فلا دالاً عليه على أن عثمان قرن بين السورتين بباحته منه فقد أخرج النحاؤ الحديث ورد فيها: قال عثمان: فظننت أنها منها، قال: وكاننا ندعون في زمن رسول الله ﷺ

التثاني بالتواثر القطعي، قراءةً وجماعاً وكتابةً في المصاحبة، وفيه تشكيك في أئمة السبعة في اوائل السور، كان عثمان كان يشتهى برآية وتبنيها برآية، وحذاءن إذا كان: "حدثنا أahn أن عثمان الذين تسبعت مكة وطهرت المتنبلين، وطهرت الصادقين، وطهرت الهمذان، وطهرت الدار البيضاء".

فقال: إذا كان هذا الحديث معروفا ومعلوما عليه قبل وفاته ﷺ، فكيف يكون اجتهادياً فضلاً عن كونه خالياً عن أي معضمون فكري؟

(1) الناسخ والمنسوخ لأبي حجفر النحاس (٦٣٨/١٦٨، ط: مؤسسة الرسالة، الأولي، ١٩٩١م.
(2) مدخل إلى القرآن ص (١٣٥).
(3) حسن: أخرج حامد في مسنده (١٦٩١٩، حديث رقم (٢٢٦/٢٢)، حديث رقم (١٨٦)، أبو داود الطيالسي في مسنده (١٣٥٢/٢)، حديث رقم (١١٥)، عن واثلة بن الأسفع، من طريق عمران القطان عن قتادة، وهو صدوق بهم (تقريب التهدب لابن حجر ص (٤٢).
(4) وأخرج الطبري في صحيح البخاري (١٠٠٠، من طريق رواة بن الجراح عن قتادة، وهو صدوق احتضن بأخرى تكل (تقريب التهدب لابن حجر ص (٢١).
المطلب الثاني: ترتيب الجابری لآيات القرآن الكريم وسوره.

ما كان الجابری ليروق له ولا للمدرسة التي يستقيم منها مبانيه الفكریة هذا الترتيب الربانی لآيات وسور القرآن الكريم التي تخرج بها حواجز الزمان والمكان؛ ليكون وحدة مصدر هدایة للبشریة جمعاء، ومناطق إعجاز لهم، حتى رأى -بعد محاولة يائسة لهدم هذا الترتيب- يعيد ترتيبها يقف به عند حواجز الزمان والمكان الذي نزل فيه، لا ينعدوا.

وقد انطلق الجابری من اعتبارين رئيسين:

الاول: أن القرآن الكريم ظاهر، يعبیر ما يعترى تأثیر الظواهر من البدء بالظهور، ثم النمو، ثم التطور، ثم بلوغ درجة الکمال، فيه: «المعرفة المؤكد أنه (أي: القرآن الكريم) نزل متزنا؛ أي: خرج إلى مجال الوجود بصورة متدرجة....» (فالتعرف عليه بدأ من) محاولة فهم المراحل التي قطعها منذ بداية نزوله حتى أصبح كما هو الآن في المصحف، إن هذا النوع من التعامل بهتم بالتعرف على كيفیة أو الکفاءات التي تم التعامل بما معه خلال مسيرته نحو إكمال وجوده بين الناس كناب هيائي مصنوع عن الزيادة والنقصان.

الثاني: أن تنزيل القرآن كان مسایراً لتطور الدعوة في عهديها المكي والمدنی.

وذلك أن الدعوة الإسلامیة منذ ظهرت في مكة أخذت تشق طريقها نحو الانتشار، فما تزکت بینا من بیوتها إلا دخلت على خشی قبائل قبیها من هذه انتشارها فقاوموها، ومن ثم وقع تزاوج وشقاق بينهم وبين النبي ﷺ، فأضطر النبي ﷺ أن يتخذ مساراً جدیداً في دعوته، وهو الخروج بما عن محيط قبی قه مکه، يبدأ يدعو الناس في الأسواق، ولم يقف أهل مكة إزاء هذا التطور في مسار الدعوة مغلوق الاندی، بل كلفوا خلفهم ضد دعوته لصد الناس عنه، وآدوا أنباؤه، فأمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة خشیة عليهم، ولم يجد الكفار بدأ من حصار بني هاشم.

(1) مدخل إلى القرآن ص(٢٢) بتصريف.
وأما إن انتهى الحصار حتى وصل النبي ﷺ عرض دعوته على القبائل في الأسواق، وخرج مكة، لا يقصد دعوهم إلى الإسلام، بل يعنى عن قبيلة توره وتتصور، فاستجاب له أهل بئر، ووقعت بيعة العقبة الأولى، وبما بدأ الترتيب للهجرة المباركة إلى المدينة المنورة، وفيها أسس النبي ﷺ دولة ووطد أركانه، ثم انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

فراح الجابر يقسم تلك المسرة الدعوية إلى مراحل، وضمن تحت كل مرحلة منها جملة من السور، بتناسب أساليبهما وما اشتتمل عليه من معاني مع طبيعة الأحداث الجارية في كل مرحلة.

وقد اعتمد الجابر في ترتيبه للآيات والسور على معطيات ثلاثة:

الأول: الروايات المتعلقة بأسباب النزول وبإجراءات السيرة النبوية، وقد اعتبر أن لكل آية سبب، ارتبط به نزولها، فقال: «قد لا جذال الصواب إذا خن قلنا -مع بعض القدماء-: إن ما من آية في القرآن إلا ومن ورائها سبب لنزولها» (١)

ويقول: والسور نفسها مكونة من آيات مربطة في كثير من الحالات -بواقع منفصلة، هي أساب النزول» (٢).

الثاني: ما اشتتمل عليه السور الكبيرة من معطيات، تمثل في خصائص أسلوبها، ومعانيها التي تناسب مع طبيعة المرحلة الدعوية التي تنتمي إليها السورة.

فإن تعارضت الروايات مع معطيات السورة، رتب السورة بناء على معطياتها؛ لأن ذلك أنسب لتحقق النتائج الموجبة من وراء ترتيبه، فيقول: «فإن الاعتماد على الروايات وحدها لا يكفي في الوقوف بفرضها، فلا بد إذا من توظيف المنطق في عملية استشعار المواد التي يقدمها الأمور» (٣).

الثالث: أن السورة واحدة وحيدة لا تنجز، فما كان ينزل شيء من السورة حتى تنتهي السورة التي نزلت قبلها، ويتم علقها، أما القول بأن السورة تكون مفتوحة -رضا مدة طويلة من الزمن- فهو قول قائم على الظن والتحميم، فيقول: «وفي ترتيب

(1) مدخل إلى القرآن ص(٤٣٠).
(2) المرجع السابق ص(٢٤٣).
(3) مدخل إلى القرآن ص(٢٤٤).
المرحلة الأولى: سرية الدعوة.

لم يقصد الجابرئي من سرية الدعوة إخفاءها عن أسماء قريش، ولكن المراد بما دعا الناس أفرادًا لا جماعات، والأنبياء وكيف علمت قريش بدعوة محمد ﷺ، ولم يتجاوز موقف قريش منها الاستهانة بالنبي ﷺ واقامه بالجحون، وكان لهذه المرحلة الدعوية خصائصها التي تعمكست آثارها على القرآن الكريم، وتتمثل فيما يأتي:

- قصر آيًا.
- الخاطب فيها كان عن النبي ﷺ أو كان موجهًا إلى النبي ﷺ، تقية له
- لتحمل أعباء الدعوة، وتبنيها لفؤاده.
- استعمال لفظ الرسول أولاً، ثم استعمال لفظ "الله" الذي بدأ ظهوره أول ما ظهر في سورة الإخلاص؛ إبانتا لوجوده ووحدانيته.
- فكان الخاطب في هذه المرحلة يدور في فتى هذه المحاور الثلاث: العبوة والروبية والألوية.
- عدم التعرض لإبطال عقائد المشركين؛ إذ كان يحذو برسول الله ﷺ الأمل في إيمان قومه، ومن ثم لم يتعرض له استمتالية لقولهم.

(1) فهم القرآن الحكيم (36/3).
(2) مدخل إلى القرآن ص 250.
(3) مدخل إلى القرآن ص 251.
(4) فهم القرآن الحكيم (19/1).

٦٠
ترتب سورة القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجاهل:

- أنه لا يطلق لفظ "المؤمن" أو "المسلم" على الجماعة التي استجابت لدعوة النبي ﷺ مقابل لفظ "الكافرون"، وإنما ستعمل لفظ "من ترك" أو لفظ "الانتقى"(1).

وتنقسم هذه المرحلة السور الآتية على الترتيب:
(سورة العلق "خمس آيات من أولها": المدثر "عشر آيات من أولها" السد، التكوير، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، السحر، العادات، الكوث، النجوم، النافع، الكافرون، الفيل، القلق، الناس، الإخلاص، الفتاح، الرحمن، النجم، غيّب، الشمس، البروج.

العين: قريش).

المراحل الثانية: البعث ومشاهد القيادة.

تعتبر هذه المرحلة بداية لتوتر العلاقة بين مشركي قريش وعمر ﷺ، بعد أن كان موقف قريش لا يتجاوز الاستهزاء والسخرية، وكان النبي ﷺ مأمورًا بالإعراض عن أفراح منهم خاصًا، كما في قوله تعالى: "آتيوني برسالتك وذكرت"(1)، بلغ موقفهم درجة التكذيب، فأمر النبي ﷺ بالإعراض عنهم كله بقوله: "أولى بينكم"(2)، وقد انعكس آثارها على القرآن الكريم، فامتاز بما يأتي:

- التركيز على موضوع المعاد والبعث ومشاهد القيادة كصيغة يرتيب به المكذبين
من قريش، خاصة أصحاب الثروات المالية التي استخدمت ثراءها في وجه الدعوة ضد الفقراء والمساكين والمستضعفين(3).

- انتقال الخطاب فيها - في أغلب الأحيان- من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب أعدائه(4).

- أن هذه المرحلة كانت بداية لإطلاق لفظ "المسلمين" على أتباع محمد ﷺ؛
لأن معنى الإسلام هو: الاستسلام والخضوع، وهو ما يعني الخضوع لسلطة جماعة أو دولة، بعد أن صار من استجابوا للدعوة المحمدية جماعةً لها رئيس يتبع له، وهو محمد ﷺ.

(1) المرجع السابق (1/51).
(2) سورة النجم، من الآية: ٢٧.
(3) سورة القمر، من الآية: ٦.
(4) فهم القرآن الكريم (١٨٠/١).
(5) المرجع السابق (١٨٣/١).
(6) المرجع السابق (١/٦٠).
ترتب سورة القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجابر

٢٦

، وانظمت حوله فردا فردا، وقد انفصلت عن قريش، ثم بدأ بعد ذلك وصف هؤلاء "الذين آمنوا" في سورة العصر، ثم "المؤمنين" في سورة البروج. (١)

وتمت هذه المرحلة السورية التي ترتب على الترتيب: (الفارغة، الززلة، القيادة، الهيمنة، المرسلات، ق. البلد، بقية العلق، بقية المدثر، القلم، الطرق، القمر).

مرحلة الثالثة: إبطال الشرك، وتسهله عادة الأصنام.

بدأت هذه المرحلة بقراءة النبي ﷺ سورة النجم على أسماء قريش بالحکمة، وتبعه عبد الله بن مسعود ﷺ بقراءته سورة الرحمن، حيث بلغت عداؤه مشكلي قريش -في هذه المرحلة- للنبي ﷺ وأصحابه ذروة، ففحص النبي ﷺ حربا ضد الشرك وعذابة الأصنام، مما جعل كثيراً من التدخل مع أبي طالب عم النبي ﷺ ليمنع ابن أخيه عن تصفية أحلامهم وسبابآههم. (٢)

وقد اندلض اضطهاد قريش لأنبأ النبي ﷺ، وتدويلهمهم، فأشار عليهم فيهاء إلى الخبشة فاراً من وجه النظام والاضطهاد، وقد استمرت تلك المرحلة قرابة سنتين إلى حدود السنة السابعة منبعثة.

وتفاوت الآيات والسور من حيث الشكل بطولها، ومن حيث الأسلوب بالأسلوب الجدلي الطبيبي، ومن حيث المضمون بالتركيز على العقيدة وسبع الشرك وعذبة الأصنام، وتوزيع قصص الأنياب وما حل بأقوامهم المكذبين في تسليمة النبي ﷺ وتبني فؤاده، وفي تمديد قريش، مع حضر متواضع للذبابة والبعث. (٣)

وتمت هذه المرحلة السورية التي ترتب على الترتيب: (ص، الأعراف، الجين، يس، الفرقان، فاطر، مرء، طه، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص، يونس، هود، يوسف).

مرحلة الراحلة: الصدع بالأمر، والاتصال بالقابل.

وتحمل هذه المرحلة رحلة الدعوة خارج نطاق قريش التي اندلذها لأنبأ النبي ﷺ، ومراقبة كل قبيلة منها لأفراد أبنائها لذا يبقوا مهما، فنزلت سورة الحجر التي

١) المرجع السابق (١٧٠/١)
٢) مدخل إلى القرآن ص (٢٥١)، فهم القرآن الكريم (١٧٠/١) 
٣) مدخل إلى القرآن ص (٢٥١) 
٤) فهم القرآن الكريم (١٩٩/١، ٢٠٧، ٨/٩)
ترجمت سور القرآن الكريم ومقربة زمن نزولها في الفكر الجبروني

اختتمت بقوله تعالى: “_sensitive:91974519","title":"٣٦ اﻠﺪ اﻷول ﻣﻦ اﻟﻌﺪد السادس واﻟﺜﻼثﲔ ﻗﻮاﺋﺔ ﻛﻠﻴﺔ اﻟﺪراﺳﺎت اﻹﺳﻼﻣﻴﺔ واﻟﻌﺮﺑﻴﺔ ﻟﻠﺒﻨﺎت ﺑﺎﻹﺳﻜﻨﺪرﻳﺔ

وتأتي هذه المرحلة السور الأثني عشر على الترتيب: (الحرث، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ).

المرحلة الخامسة: حصار النبي ﷺ وأهله في شعب أبي طالب.

وهي المرحلة تأتي عقب بلوغ اليأس مداه في نفس كفار قريش أن يكف محمد ﷺ عن سب اهتنهم وتسفيف أحلامهم، ويخيب أبي طالب إلى ابن أخيه، وتعديده إياهم حرب أهلية لا تبقى ولا تذوق، فكتبوا يهتم ويبني كنابا يقضي حصاره هو ومن أنضم إليه من بني هاشم ونبي المطلب، وقد هاجر معظم أتباعه قبل الحصار أو أثناه، وقد استمر هذا الحصار مدة ثلاث سنوات يبدأ من مطلع العام السابع من البعثة حتى مطلع العام العاشر منها.

وقد تميزت السور النازلة في هذه المرحلة بطابع التذكير مع نوع من الاختصار وتنوع في الصياغة، مع نوع من حنين لآخر إلى تثبيت فوائد النبي ﷺ و=<nostyle>وتحريصه على الصبر، والتأكيد على أن النصر له في خياة المطاف.

وتضم هذه المرحلة السور الأثني عشر على الترتيب: (الزمر، غافر، فصلت، الشعرى، الزخرف، الدخان، الجاثيئة، الأحقاف).

المرحلة السادسة: ما بعد الحصار: مواصلة الاتصال بالقبائل، والاستعداد للهجرة إلى المدينة.

لم يستمر حصار النبي ﷺ ومن معه من بني عمومه (بني هاشم ونبي المطلب) أكثر من ثلاث سنوات، بسبب أن النظام القبلي عند العرب لم يكن يحكمه المطلق

١٣٩٤/٩/٣٨

(1) فهم القرآن الكريم (٢/١١٤١).
(2) المرجع السابق (٢/٨١).
(3) المرجع السابق (٢/٣٨٩).
وحده، بل وجود القبيلة كان عملاً مؤذناً في توجهها، فعند تخمس كثير من أقارب الهاشميين للحصار وتأخيرهم بالآلام أثارهم فتح أبواب التعاون السريري بينهم. كما أن هذا الحصار لم يكن ملماً لغير قريب من القبائل مما سمح باتصال الهاشميين بالقبائل حولهم على الرغم من ضغوط قريب عليهم، فأدى ذلك كله إلى فشل هذا الحصار وتمزيق الصحيفة المزيفة بينهم.

وبعد فشل هذا الحصار واصول النبي اتصاله بالقبائل، لا يلاحظ الجمهور كما كان يفعل قبل الحصار، بل بحث عن قبيلة تتحالف معها على أن تنصره وتدعو عنه، فكانت النتيجة أن تتحالف مع وفد وهر، وبدأ الترتيب للهجرة إليهم.

وقد تميز الخطاب القرآني في هذه المرحلة بما يلي:
- التركيز على محور المعاد مواجهة الضغوط القاسية التي مارستها كفارة مكة على النبي.
- الانتقال إلى لون جديد من ألوان الخطاب، وهو الخطاب الأخلاقي التشريعي الذي يرسم ما ينبغي أن يكون عليه سلوك جماعة المسلمين أفراداً وجماعات.

وتضمن هذه المرحلة السور الآتية على الترتيب: (نوح، الدياريات، الغاشية، الإنسان، الكهف، النحل، إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، القدر، الملك، الحاقة، المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، المزمل، الرعد، الإسراء، الروم، العنكبوت، المطففين، الحج).

المرحلة السابعة: مسيرة الدعوة في العهد النبوي.
القرآن في العهد المدني يمثل مرحلة واحدة، لا يمكن تقسيمها؛ لعدد أطراف الخطاب فيه، فإذا كان في العهد المدني موجهاً إلى أحد أطراف ثلاث: النبي والموصليين، والشركين، فإنما في العهد المدني تعدد أطرافه، ليشمل أيضاً اليهود، والنصارى، والأعراب، والمنافقين، والنساء، وأزواج النبي... إلخ.

وقد تميزت السور القرآنية في هذه المرحلة بما يأتي:
- أغا تختلف طولاً وقصراً.

١) فهم القرآن الحكيم (٢/١٧٧)(٢/٠٩٣).
٢) المرجع السابق (٢/٣٧).
ترتب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجابر

- أن السورة الواحدة تتناول موضوعات مختلفة، ظريفًا في الغالب. أي: أولاً تتحدث عن موضوعات خاصة بالظروف التي نزلت فيها، فالعموم والعناصر البارزة فيها، له مفاهيم خاص، وهو العناصر الخاص بالزمن الذي نزلت فيه الآيات والسور.
- أن ترتيب السور في الغالب حاضر لتاريخ الأحداث التي تحدث عنها.

وتさま هذه المرحلة السور الآثية على الترتيب: (البقرة، الأنفال، الفرقان، التوبة، الحج، البقرة، الأحزاب، المجادلة، الحجرات، التحريم، التوبة، النصر).

اضطراب في ترتيب السور عند الجابر.

ذلك هو ترتيب السور الذي سار عليه الجابر في كتابه "فهم الكتاب الحكيم".
لكن تجد حالة من التخطيط تتناوب في ترتيبه، فقد خالف نفسه في كتابه.

المناقشة والرد

القرآن الكريم كتب الله عز وجل، أنزله الله على نبيه محمد ﷺ، لهدى البشرية جمعاء، منذ أنزله الله - تعالى - إلى قيام الساعة.

تلك هي الحقيقة الثانية، التي دل عليها القطعي من الدلالات الشرعية والعقائدية، وملفتها الأمثل والإجماع عليها، فأي محاولة لرده أو زعزعة الثقة فيها، فإنها محاولة مقطوع ببطلانها، لمخالفتها للفتايات من الأدلة.

ذلك ما رأى إليه الجابر في طرحه لإحدى القضايا القرآنية، وهي ترتيب آيات وسور القرآن الكريم وفق زمن نزولها، يتضح ذلك من خلال مناقشته وإجمالاً وتفصيلاً في الأسس التي بني عليها مشروعة وفي النتائج التي توصل إليها:

أما الرد عليه إجمالاً فإن ترتيب مبني على التحرين والظن، ولا دليل عليه من تقل أو عقل، ولا أدل على ذلك من موقف الجابر نفسه، حيث ناقش نفسه، فقد خالف نفسه في كتابه "فهم القرآن الكريم" - وهو ما سبق ذكره - عما سار عليه في كتابه "مدخل إلى القرآن"، فجعل المرحلة الخامسة - في المدخل - من مراحل

(1) فهم القرآن الحكيم (36/3، 4).
(2) مدخل إلى القرآن ص (253، 254).
الدعوة في مكة، وهي مرحلة الخصمان، تضم السور الآتيَّة على الترتيب: الحواميم السبعة: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)، الأعام، البارز، ص، الأعراف، النور، البقرة، الأعراف، الأعراف، الأعراف، الأعراف، الأعراف.

كما جعل المرحلة السادسة، وهي مرحلة ما بعد الخصمان، تضم السور الآتيَّة هي: الطازق، الجمود، القمر، ص، الأعراف، الإسراء، الأنيبياء، إبراهيم، يوسف، يونس، هود، الفصص، النمل، الشعراء، الحجر، الروم، الكوثر.

ولا دلالة عندى على هذا التناقض سوى أنها المحاولة باءت بالفشل، لعدم استنادها على مقول أو معقول.

أما تفصيلاً، فيظهر من خلال النقاط التالية:

أولاً: اعتبار القرآن الكريم ظاهرة:

فقد اعتبر الجامع القرآن الكريم ظاهرة نسر عليها سنين سائر الظواهر، وهو أمر يتناقى مع الكمال المطلق لكتاب الله تعالى وقديمه، ويتماحل تاريخ القرآن الكريم قبل نزوله على النبي ﷺ، وبيان ذلك:

أن القرآن الكريم كلام الله ﷺ، أنزله في اللوح المحفوظ بسماء وكامله جملة واحدة، قال تعالى: "يَرَاهُ وَيَجَابَهُ ﻏَيْبًا ﻓِى لَوْحٍ مَّخْفُوظٍ ﴿١﴾."

ثم أنزله جملة واحدة كذلك إلى بيت العززة في السماء الدنيا في الليلة المباركة ليلة القدر؛ كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. 

١) سورة البقرة، الآيات: ٢٤٠-٢٤١.

٢) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢٤٧/٧)، كتب: فضائل القرآن، باب: كم بين نزول أول القرآن وبين آخره، حديث رقم (٧٩٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢٤١/٢)، حديث رقم (٢٤٢/٢) واحديث رقم (٢٨٧/٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/٢٣)، حديث رقم (١٢٧٨١)، وابن الضريس في فضائل القرآن ص (٤٧). 

وانظر: النكت والعبون للمماليك (٢٤٤/٥)، والتفصيل الكبير لمدرسة الديني الرازي (٢٧/٥٥٤-٥٥٦)، والتفصيل الحديث محمد عزرا درويش (٥٣٧)، ومناهج القرآن (١٥٦-١٥٧).
ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجابر

دل على ذلك قوله جل وعلا: "{نُضِبِّئُ {٥} ﷲ رَأِسِيَّة أَلِيمِينَ {٦} ﷲ إِلَى {٧} ﷲ فيَّ {٨} ﷲ مَنْيِسَ (٠٠٠) (١٠٠)"(١)

ووجه دالائ الآيات على نزولها جملة واحدة: أن المتغير من عود ضمير العودة في 
قوله: "{نُضِبِّئُ {٥} ﷲ رَأِسِيَّة أَلِيمِينَ {٦} ﷲ إِلَى {٧} ﷲ مَنْيِسَ (٠٠٠) (١٠٠)"(١)

فهو بالغ درجة الكمال المطلق قبل نزوله على النبي ﷺ. وبعد اكتمال نزوله على 
حد سواء، قال تعالى: "{نُضِبِّئُ {٥} ﷲ رَأِسِيَّة أَلِيمِينَ {٦} ﷲ إِلَى {٧} ﷲ مَنْيِسَ (٠٠٠) (١٠٠)"(١)

وقال جل وعلا: "{نُضِبِّئُ {٥} ﷲ رَأِسِيَّة أَلِيمِينَ {٦} ﷲ إِلَى {٧} ﷲ مَنْيِسَ (٠٠٠) (١٠٠)"(١)

وقال جل شأنه: "{نُضِبِّئُ {٥} ﷲ رَأِسِيَّة أَلِيمِينَ {٦} ﷲ إِلَى {٧} ﷲ مَنْيِسَ (٠٠٠) (١٠٠)"(١)

إذا كان القرآن الكريم كتابا كاملا بذاته قبل نزوله على النبي ﷺ. وبعد نزوله، 
فمن الخطأ السافر تفسير تنحيمه بالظهور ثم النماة ثم التطور... إلخ، كما زعم الجابر. 
إن مثل نزول القرآن منجحا، كمثل عالم عكف في مرحبا، فألقص كتابا جمع فيه ما 
يصلح حال مجتمعه، فكلما جاءه أحد مسترشدا، دله على أنفع ما يصلحه منه، ثم 
جميع تلك النصائح على وفق ترتيب كتابه، فهل تعد نصائحه المرة ثالث أخرى تطورا.
قال القرآن الكريم كان قبل نزوله على النبي ﷺ مجموعا في سفر واحد، وما اكتمل 
نزوله عليه ﷺ ودل صاحبه على موضوع كل نجم من نجومه. صار موافقا على وفق 
ترتيبه قبل النزول.

ثانيا: دعوى مساواة التنزيل لطور الدعوة.
قبل أن نحكم على تلك الدعوى بالصحة أو البطلان، لا بد من وضعها في 
cالرا المناسب لها عند الجابر، وذلك يستلزم منا استحضار الأساس الذي قامت

٦٧

١) سورة الدخان، الآيات: ۳١.
٢) سورة القفر، الآية: ۱.
٣) معالم التنزيل اللغوي (١٧٢/٤)، والتفسير الحديث (٥٣٧/۴).
٤) سورة هود، الآية: ۱.
٥) سورة الكهف، من الآيات: ٢٤٩.
٦) سورة الزمر، الآيتان: ٢٧٨/۲۷. 
وارتبت سورة القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجابري

عليه الماركسية - وهي المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها الجابري - وهو الإيمان المطلق
بالمادة، فالمدرسة الماركسية تؤمن بما، ولا تسلم بشيء سواء، والنتيجة الحتمية لهذا

الإيمان أمران:

الأول: أغا أقامت علاقة القطبية بينها وبين العالم الغربي، وبعبارة "لينين": "أي
دفاع أو تبرير لفكرة الله - مهما كان جيدا، ومهما حمست نواياه - هو تبرير للرجعية"

الثاني: أغا الأساس الذي شكل الواقع جميع جوانبه: الاقتصادية والاجتماعية
والفكرية، حتى صاغت الماركسية نظريتها: "البناء الفقهي، والقاعدة المادية"، فكل فكر
هو من تشكيل المادة والواقع، ثم يعود هذا الفكر ليؤثر في الواقع، في علاقة جدل
مستمر، صاعد منذ الواقع، وعائد للتاثير في الواقع.

إذا كان الجابري يقصد ب"مساواة التنزل لتطور الدعوة" كون التنزل انعكاسا
للواقع وأثرا عنه، فإن النتيجة حينئذ تكون كارثية; لأنه بذلك ينفي ربابية القرآن الكريم.

وإذا كان يقصد بما أن القرآن الكريم نزل ليعالج قضايا الواقع، في حقبة زمنية لا
يتعداها، فهو بذلك ينفي عن القرآن الكريم أهم خصائصه، وهو كونه هداية عالمية
باقية بقاء الزمان والمكان.

إذا عبارة الجابري "مساواة التنزل لتطور الدعوة" تتزامن بين احتمالين، كلاهما
بطل:

الأول: كون القرآن الكريم انعكاسا للفكر أو صدري له.

الثاني: كونه منزلا لمعالجة قضايا الزمن والزمان الذي نزل فيه، متعلقة عليها، لا
يتعداها إلى غيرها.

وكلا الاحتمالين بطل، لأن الاحتمال الأول لا يقول به مسلم، لأنه يقتضي
الكر.

والاحتمال الثاني خرج بالقرآن الكريم عن المقصود من نزله، وهو كونه هديا
للكبرية جمعاء، غير خصوص بوم، ولا قاصر على جبل، إلى القول باريخية النص
القرآني، وهو ما صح به الجابري يقوله: "وهذا يفسح المجال لأفهم أغلب ما اصطلح

(1) التفسير الماركسي للإسلام للمؤدي محمد عمارة ص(34، 51)، الموسوعة الفلسفية
(2) (367، 432).
ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزوله في فكر الجامعي

عليه ب"العموم والحصصوس"، فعلم سيبن ليس هو ما ورد لفظه في الصيغة اللغوية التي تفيد العموم مثل: "يتأهلاً فتباً مائاماً"، إذما تزى مثل هذه الصيغة والخطاب فيها موجه إلى البعض دون البعض، وكذلك الشنا في عبارات أخرى من قبيل "يكتب على الشم يتأهلاً" و"قمر وفانش ونيوست نيدي"(1)... إلخ، والتي تتطلب المسلمين زمن الرسول وقت إعلان الحرب مع مشركي مكة، فالعموم في مثل هذه الآيات مفيد بخصوص زمن نزولها ومناسبته(2).

وأصح من ذلك قوله: "القرآن كتيب تاريخي، وللتعامل معه لا بد من فكر تاريخي متتبع لتطور الثقافة العربية، وخصوصا الجانب الكلامي والفقيهي(3).

وهو زعم باتلر، وتجم غيغ علم ترده قوله تعالى: "يتأهلاً فتباً تذكير القرآن على عمي" ليكون بالمسملاقين "نيوست"(4).

وقوله جل وعلا: "إن هوالا تُغَصَّب النُّظائِم"(5).

وقوله جل شانه: "قَلْ نَبِيُّكَ الَّذِي نَزَلَ السُّورَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ تَعَلَّمَ جَعِيًا"(6).

وقوله سبحة: "وما أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ نُذُرَ السُّورَةَ لَيْثَةَ النُّظائِم"(7)، فالقرآن الكريم كتاب هدائية، غير قاصرة على الجيل الذي نزل فيهم.

وأما الواقع الذي عالجه القرآن حين نزوله إلا مفردة من مفرداته التي تشملها، وحلقة من حلقاتها التي أحاطها تنظيمًا، يقول د. محمد عمارا: "من حق الباحث أن يسأل: هل القرآن كتيب تاريخ لمسار الدعوة الإنجابية؟ أم أنه كتاب هدائية للدين، والآخيرة، للفرد والأمة، والشعوب عبر الزمان والمكان؟!

---

(1) سورة البقرة، من الآية: 216.
(2) سورة النساء، من الآية: 89.
(3) سورة الحج، من الآية: 2370/3، وتصرف.
(4) مواقف، ص (11)، نقدا عن الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن ص(53).
(5) سورة الفرقان، الآية: 1.
(6) سورة يسوع، من الآية: 104.
(7) سورة الأعراف، من الآية: 158.
(8) سورة الأنبياء، الآية: 107.
وأن مسار الدعوة المحمدية هو مجرد "مفردة" من مفردات هذا القرآن الكريم. وأن الترتيب الجاهري للقرآن كي يكون تأريخاً لمسار الدعوة المحمدية، قد يفضي إلى ربطه بهذا التاريخ. ومن ثم يفتح باب "التاريخية والتاريخانية" التي تحل القرآن الكريم إلى "الاستدعا" بعد طوي التاريخ صفحات الأحداث التي مثلت مسار الدعوة الإسلامية، والتي حدثت قبل نحو خمسة عشر قرناً.

إذا الأصل الذي بنى عليه الجاهري مشروعه -وهو كون القرآن ظاهر- وربط تزيله بمسار الدعوة، بالمعنى الذي قدسه الجاهري- هو أصل باطل، ترتب عليه بطلان كل ما نتج عنه.

ثالثاً: اعتبار أن لكل آية سبب نزول:

هو أمر خالق فيه الواقع تمام، فإن أقضى ما ارتبط نزوله من الآيات بأسباب خاصة، لا يتجاوز عددها (888) آية؟ أي ما يعدل 14.2%، وأما غيرها فلم يرتبط نزولها بشيء من أسباب النزول.

ولاء بد من الاعتبار أن من أسباب النزول ما سنده ضعيف لا يكون عليه، ومنها ما سنده صحيح لكنه غير صريح في الدلالات، فعدد التحقق ثبت أن الآيات التي ارتبطت بأسباب نزول لا تعدو أن تكون (472) آية؛ أي ما يعدل 7.5% من جملة آيات القرآن كله.

ذلك مع شدة عناية الصحابة واهتمامهم باللغته كل ما يتعلق بالقرآن الكريم، فمن ابن مسعود قال: "والله الذي لا إله إلا هو أنزلت سورة مكتوبة إلا أنا أعلم أن أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فين أنزلت، وله أعلم أحداً أعلم منه بكتاب الله، تبلغ الإبل لزكية إليه".

(1) رد افتراءات الجاهري على القرآن الكريم ص (38، 39).
(2) سقوط الغناء العلماني للمجلسي محمد عمارة ص (255)، أسباب النزول -تهديد مفاهيم ورد شبهات- للمجلسي محمد سلام أبو عاصي ص (112، 113).
(3) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي، حديث رقم (5000)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود، وأمه رضي الله تعالى عنهم، حديث رقم (24673).
ورعن علي ﴿أن قال: (وللهما ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وحبيب لي قلبا عقولا، ولسانا طلقا).﴾

والجابري ذاته -الذي اعتبر أن لكل آية سبب نزول معتمدا عليه في ترتيب السورة- عاد ليقبض نفسه، مؤكداً أن ما هو متدوًّل عن أساس النزول قليل جداً بالنسبة لآيات القرآن، فقال: (ومنه (أي: من القرآن) ما أنزل إبتداء، كخطاب يشرح العبيدة أو كقصص تشريعة أو أخلاقية ... إلخ، وهذا الصندف لا يتعلق في الغالب بأسباب أو مناسبات خاصة، وبالتالي فهو ليس مما يرجع فيه إلى "أسباب نزول"، على الرغم من قول بعضهم: "إنه ما من آية في القرآن إلا وها سبب لنزولها"، وإن عنصر البالغة في هذه العباره واضح، ذلك لأن ما هو متدوًّل عن "أسباب النزول" قليل جداً بالنسبة لأي الذكر الحكم).

ويقول -في معرض تقديمه لسورة السدر-: (وما تردد في الروايات الخاصة بما هو كون آيات منها نزلت في المدينة، والأيات التي قالوا إما مدنية لا سند لهم فيها إلا كونها تحمل أن تكون سببا لراحي أمورا حديثة في المدينة، وهذا ما جرت عليه عادتهم في البحث عن أسباب لنزول هذه الآية أو تلك من خلال استعراض الواقع).

ويقول -في تقديمه لتفسير سورة الحجر-: (قد وردت عدة أخبار عن "سبب نزول" آيات من هذه السورة كناد تكون كلها مصطبة).

١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٨٢) (٣٨٨/٤٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨٢) (٣٩٨/٤٢).

٢) في فهم القرآن الكريم (٣٠)، بتصرف.

٣) في فهم القرآن الكريم (٣٠) (٣٧١/٢) (٢٤٥) (٣٧١/٢).

٤) في فهم القرآن الكريم (٣٠) (٣٧١/٢).

٥) في فهم القرآن الكريم (٣٠) (٣٧١/٢).

٦) المرجع السابق (٣٨٢) (٣٨٨/٤٢).
والتخليص: أن موقف الجابرية من أسباب النزول هو موقف المتزود الحائر بين قبوله وردها؛ فهو نزول في بعض الأحيان، وأخرى يعود ما ورد منها قليل بالنسبة للآيات التي لم يرتبط نزولاً بسبب، وأخرى يشكك في مصداقيتها، فيدها محتملة، أو ظنون أو مصطلحة.

فهو بذلك نقض نفسه بنفسه، وهم الأسس الذي يبنى عليه مشروعات، فلم بعد ذلك المشروع أن يكون ضربا من الظنون والخفيضات.

رابعاً: اعتبار أن السورة وحيدة واحدة لا تتجزأ:

ووهذا قول حق، فكل سورة في القرآن الكريم موضوع رئيس تدور حوله، و كثير من السور ما يضم موضوعات متعددة، وارتبطت جميعها موضوعها الرئيس ارتباط الجزء بالكلي، واللبيئة الواحدة بالبناء الكامل.

لكن الجابرية أخطأ إذا اتخذ من وحدة السورة مدخلا للقول بنزولها حملة واحدة، أو جوما متقاربة النزول بحيث لا يدخلها نجم آخر في سورة أخرى - كما ادعى ذلك في سورة البقرة (١) - فإنه لا ارتباط بينهما؛ يعني: وحدة السورة ونزولها حملة، فقد صح النقل أن كثيرا من سور القرآن الكريم نزل جوما في زمن امتداد، ومناسبات مختلفة، مع ما شملته من موضوعات متعددة، قد ربط بينها رباط عام، وهو ما دارت حوله السورة من موضوع رئيس، حتى بدأت السورة كأنها حمة واحدة، فقد ألغى اعتبار الزمن بعد تزدها، كما أنه لا اعتبار له قبل تزدها.

يقول ابن بطال: وقد صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فيتموا بإتباعا في السورة المكية (٢).

ويقول السيوطي: "النوع الثالث عشر: ما نزل مفرقا، وما نزل جمعا، والأول غالب القرآن" (٣).

رد افتراضات الجابرية على القرآن الكريم ص (٤).
(١) فهم القرآن الحكيم (١٠٠/٩).
(٢) مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم ص (٥١).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠٠/٣٩).
(٤) الإتقان في علوم القرآن ص (٨٨). ٧٢
وردة سورة آل عمران ينتمي نزلها ما بين العام الثاني من الهجرة، حيث نزل قوله تعالى: مقاوملاً بعضاً قرآن كرية 5:1 (1) (2) (3)، وقبل أن ينزل لكم ما نزل بهم، فقد أعترف الله بليبي أشكاً أن تكون في كابك ومعد الله إياكم، فقالوا: يا محمد لا يغركن ألك تلك قمتها ولا علم لهم بالحرب فاصب منهم فرصة، أما والله لواقتنا لعرفنا أنا نحن الناس فنزل الله تعالى: ًليلينًا متهجولاً متهجولاً الآية 13:16 (4) (5). 

وردة سورة آل عمران، آية 7 (6) (7) (8) نزلت هذه الآية في وقد نجوا، وكان قدومهم على النبي سنة ثمانية من الهجرة (الرحيل المختم لصفح الرحمن المبارك في وجبات الأصلي وجبات السنة، من آية 7. وقد نزلت في أم أحمد زوج أوس بن ثابت الأنصاري وبنات الثلاث، حيث قُل: أوس يوم أحد، وترك لهما، فأخذته ابنه عمه ووصية. وليا أن يعطاهش شيئاً، فأتت نشوة...
توriting the first six numbers of the Islamic and Arabic studies, including a study of the Koran's order in Alexandria. The text is about the order of the Koran verses and the context of their revelation, discussing the work of scholars and the controversy regarding the order of the verses. The text also includes the study of the emergence of the Koran's order and its implications for the succession of the Prophet. The text concludes with a reflection on the significance of the Koran's order and its role in the history of the religion.
فيها؛ لأن تحديد زمن نزولها غير ممكن ومستحيل، وأنه يؤدي إلى تمييز السورة تميزًا شديداً.

خاصمًا: القرآن الكريم نجمه خصائص عديدة، أبرزها: أن حقائقه ثابتة، وأسلوبه محكم، ومعانيه مشابهة، قد خاطب العقول والوجدان في آن واحد.

هذه الخصائص وغيرها لا تتفاقم عنها آية من آياته، سواء في ذلك ما نزل أولًا، وما نزل بعد.

غاية ما هنالك أن علماء علوم القرآن والتفسير ذكروا وجوب من التعبير بين القرآن المكسي والمدني، من حيث الإيجاز والإطالة، والإجمال والتفصيل، والمعاني التي اقتضتها المنهج التنبيوي، وهي خصائص أغلبية، ولا تعتبر حدودًا قاطعة في الفصل بين المكي والمدني، أو المتقدم والمتأخر.

فالقرآن الكريم كله وحيدة واحدة، لا يمكن تجزيه، فما يصدق على ما نزل أولاً يصدق كذلك على ما نزل آخراً، وما هو صادق على ما نزل آخر صادق كذلك على ما نزل أولاً، قال تعالى: (اللهُ رَبِّي، أَنتَ أَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّكَ بَيْنَنَا مُبْرَأٌ) (1)، وقال جل شأنه: (أَرْكَنْبُ أَحْكَمْتُ تَالِيَةً، فَلَغَيْنِ الشَّمْسِ  وَالْيَلِىَءَ) (2)، من غير فرق بين المتقدم وبين المتأخر.

ثمة أمر آخر - هو من الوضع مبكر- أن تلك الخصائص إذا استبدلت بعد نزول الآيات والسور، ومعرفة المتقدم منها من المتأخر، إذا هذه الخصائص تابعة لترتيب النزول، وليس من المعقول أن يكون الترتيب خاصاً لها.

لكن الجاكي حافظ على دينج درجات المعقول، فجعل ترتيب النزول خاصًا لخصائص النزيل في كل مرحلة من مراحله، فهو يفرق - بما لا غموض فيه - أنه إذا تعرضت اللوائح التاريخية (أسباب النزول ووقائع السيرة) مع معطيات السورة وخصائصها، وضع السورة في ترتيب يناسب مع معطياتها، ضارباً بأسباب النزول عرض الحال، فمثلاً سورة الكوثر، يجعلها الجاكي مما نزل في المرحلة الأولى من مراحل

---

(1) تاريخ القرآن ص(60)، ترجمة: د. جورج نامور.
(2) سورة الزمر، من الآية: 33.
(3) سورة هود، الآية: 1.
(4) مدخل إلى القرآن ص(244)، 245.

75
النذل، لقصرها، فهي أقصر سورة في القرآن الكريم، ولم يلق بالما ورد من سبب نزولها، وما اقتصاد من القول بمثبتها، فمن أنس قال: "بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغضب إغفاءة، ثم رفع رأسه مبديسا، فقالنا: ما أضحكنا يا رسول الله ﷺ قال: "أنزلت عليَّ آنفاً سورةً، فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) إذا أقتظنتم العنادر..." (الحديث).

وقول أنس ﷺ: "بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا" ظاهر في الدلالة على أن السورة نزلت بالمدينة.

كما أخطأ الجباري في تلك الخصائص المزعومة، فلمّا:
- جعل سورة النذل والسورة قاصرة على المرحلة الأولى للنزول، ثم تدرج في الطول شيئاً فشيئاً في المراحل الأخرى، وقد أخطأ في ذلك، فسورة "النصر" مدنية باتفاق، وسورة "ال kursi" مدنية على الراحج، وكذلك سورة "البينة" على الراحج، ومن قصص السور.
- وذلك سورة "الطلاق" و"التحريم" و"الجماعة" سورة مدنية باتفاق، ومن دون سورة "القمر" طولاً التي زينتها ضمن سور المرحلة الثانية من مراحل النزول، فلم يلحقن بالمرحلة الثانية؟!
- جعل الخطاب القرآني - في أول مراحل الدعوة - موجهًا إلى النبي ﷺ، أو عنه مستنداً في ذلك على الخطاب في بعض السور التي نزلت أولاً كسورة العلق وسورة المدرثر.

والحق: أن الخطاب إلى النبي ﷺ أو عنه ليس خاصة بالعهد المكي بصفة عامة، بله المرحلة الأولى من الدعوة، فقد عين بالخطاب إليه ﷺ أو عنه في العهد المدني، فلا تكاد تجد سورة مدنية إلا وهي مشتملة عليه.

- جعل حديث القرآن عن الآخرين ومشاهدهما مما نزل في المرحلة الثانية، معروضاً في ذلك عملاً روي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنه قالت: "إذا نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار" (١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: البسمة آية من أول كل سورة سواً براءة، حديث رقم (٤٠٠).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، حديث رقم (٤٩٩٣).
وقد ناقض نفسه؛ حيث حصل سورة "التكوين" مما نزل في المرحلة الأولى، وحديثها بدور حول مشاهد من البعث، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال: "مَنْ سَرُّهُ أَنْ يَنظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فَلْيَقُرِ: "إِذَا الْخَمْسُ فُرِيّرٌ"، وَبِكَانَ النَّاسُ. وَإِذَا أَلْتَنَّا لَبَنَى، ۚ وَإِذَا أَلْتَنَّا أَنْتَفَى". (1) فمقتضى صنع الجاهلي أن تكون ضمن مجموعة المرحلة الثانية، لكنه دائم التخطيط والتناقض.

سادسًا: أن استعمال القرآن الكريم للفظة يكون مرتبط بوفائها بالمعنى المراد، ومناسبتها للسياق الداخلي للسورة، وللعرض الذي سبقت له، والمهم في ذلك أنه لا علاقة لاختيارها بزمن النزول.

وإذا كان الأمر كذلك، تبيّن خطأ الجاهلي فيما جعله من خصائص مرحلة ما استعمال بعض الألفاظ، كاستعمال اسم "رب" في المرحلة الأولى للفظ، ثم لفظ الجلالة "الله".

كذلك إطلاق اسم "من تركي"، و"الأنقى"، على أتباع النبي ﷺ في المرحلة الأولى من التنزيل، ثم إطلاق اسم "المسلمين"، و"ذين آمنوا" في المراحل الأخرى.

(*) صحيح: أخرجه الترمذي في سنته، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة "إذا الشمس كورت"، حديث رقم (3333)، وأحمد في المسند (4/440)، حديث رقم (4806)، والحاكم في المستدرك (4/260)، كتاب: الأهوال، حديث رقم = 8719 (2)

و قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، ووافقه الذيهبي في التفسير، ورواه السيوطي في المدر المنثور (8/426) وزاد عزيز إلى ابن المندبر وابن مرويه.
الطلب الثالث: ترتيب سور القرآن الكريم عند المستشرقين

واتأثر الجاهازي بهم

تأتي دراسات المستشرقين لقضايا الفكر الإسلامي بصورة عامة والقضايا القرآنية بصفة خاصة كإحصائية حلقات الصراع بين الإسلام وحضوره الذي بدأت منذ اللحظة الأولى التي جهر فيها النبي ﷺ بالدعوة، فواجهه أبو هب-أحد أعمامه- يقول:

ماذا أصعب هذه الحقيقة؟

ليتشكل هذا الصراع فيما يتلاجم مع كل عصر من العصور في مكونه الثقافي والسياسي والاجتماعي، فتأتي دراسة المستشرقين لقضايا القرآن في العصر الحديث رافعة شعار الجماهيري والموضوعية العلمية، لينجدب به ضعف الإمام وقليلاً المعرفة، لينفذوا حقوقياً في كل قضية طرقوا إليها بأن القرآن الكريم من اختلاف محمد ﷺ، وأنه تصريح تاريخي، مقيد بحدود عصره وملابسات مكان نزوله، قابل للنقد والرد، كيف تكون أحكامه وتعاليمه، ممزقة على مر العصور؟

والذي يُعني به البحث هو إلقاية الضوء على بعض محاولات ترتيب سور القرآن الكريم ترتيباً مترازاً مع نزوله، وكشف الأساس الذي بنيت عليها تلك المحاولات، ومدى تأثر الجاهازي بها.

وكان أبرز تلك المحاولات ما قام به المستشرق الألماني "تيدور نولدة" (1836–1927) في كتابه "تاريخ القرآن"، الذي قسم فيه القرآن الكريم إلى ثلاثة مراحل، والقرآن المكهي إلى مرحلة واحدة، وجعل كل مرحلة تضم عدداً من سور القرآن الكريم، وقد اعتمد في تقسيمها على معيارين:

الأول: المعيار الخارجي، وهو ما يتعلق بأسباب النزول، وأحداث السيرة، والأحداث النيومية.

الثاني: المعيار الداخلي، وهو ما يتعلق بأسلوب السورة، وما تتضمنه من معان لها ارتبط كبير بالظروف السياسية والدينية المحيطة بالنبي محمد ﷺ، وقد تشير إليه بعض السور من أحداث تاريخية كبرى، كسورة النحل التي لها علاقة بالهجرة إلى الحبشة، وسورة الروم التي تناولت الحرب بين الفرس والبيزنطيين.

(1) تاريخ القرآن لبولنديه ص (44، 66، 267)، دفاع عن القرآن ضد منتقدهم ص (18، 11).
وتتبارى محاولات "نولدك" هي أولى المحاولات الجادة في ترتيب سور القرآن الكريم (1)،
إن كان قد سبقه إليها بعض الباحثين الأوروبيين، كما صرح هو يقوله: "ما يزيد الأمر
صعوبة هو أنه لم يستطع إلى عمل كهذا إلا القليل من الباحثين الأوروبيين في مجال
الدراسات النقدية للكتاب" (2).

ومن هؤلاء الذين سبقه: "جستاف فايل" (1808-1816م) في كتابه:
"مقدمة تاريخية تقريرية للكتاب"، و"النبي محمد: حياته وتعليمه"
وهو من بني "نولدك" مشروعه، وجعله أساسا لدراسة حول تاريخ الكتاب (3).

فقدقسم "فايل" القرآن إلى ثلاث مراحل في العهد المكسي، ومرحلة واحدة في
العهد المدني، ضم تحت كل مرحلة منها عددًا من السور، معتمدا في ذلك على ما
يجمله النص من معطيات نحو الإشارة إلى أحداث تاريخية كبرى، المظهر الشكلي
الحالي من طول الآيات والسور وقصها، وتحديد طبقات النص وفقًا لتغير أحواض الدعوة
صارفا نظره على النهج الخارجي من النص (4).

ثم المستشرق البريطاني "ويلم موير" (1805-1900) في الجزء الثاني من
كتبه "حياة محمد وتاريخ الإسلام" (5).

ثم أتي المستشرق الفرنسي "ريجيغ بلاشير" (1900 - 1973) ليتخذ من
مشروع "نولدك" منطلقاً له في إعادة ترتيب السور؛ لأنها - في وجهة نظره - تعطي
تصورا معقولا عن السياق التاريخي لمجموعة الدعوة المحمدية (6)، أما الترتيب القائم الآن
فإنه يلغي البلبلة في الفكر؛ إذ إنه لا يعطي التصور الكافي عن نحو الدعوة وطويرها (7).

---

(1) دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص(117).
(2) تاريخ القرآن لولكدة ص(6).
(3) دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص(119)، القرآن وشبهات المستشرقين قراءة نقدية للمدكتور
عبد الله خضر حمد (43).
(4) موجز داررة المعارف الإسلامية (26/261/26).
(5) تاريخ القرآن لولكدة ص(26)، دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص(123).
(6) القرآن: نولك، تدويشه، ترجمته وتأثره ببلاشير ص(211، 43).
(7) القرآن: نولك، تدويشه، ترجمته وتأثيره ببلاشير ص(43).
فألفت الهدف منذ علية "ألبلاشير" و"نولزكه"، ومن سار على درلم هو اتساق التنزيل مع مسار الدعوة، في نظر الزمان والمكان الذي نزل فيه.

وقد اتفق "بلاشير" مع سابقه "نولزكه" في تقسيم مراحل الدعوة إلى أربع مراحل:

- ثلاث في مكة، وواحدة في المدينة، وخلفته في الأنبياء:
  - أنه لم يبق بالوثائق التاريخية المتمثلة في المعطيات الخارجية عن النص نحو أسباب النزول وأحداث السيرة، فاقتصر في بناء مشروعه على المعطيات الداخلية للنص، متبناها في ذلك تجربة "ويل"، معترفاً بإياس الطرقية الوحيدة المشهورة، أما حياة النبي أو سيرته، فإما تنموى على معطيات دقيقة، لكنها متناقضة.

- أنه عدد السور ست عشرة ومائة سورة، بدلاً من أربع عشرة ومائة، حيث قسم كلاً من سوري العقل والمثل إلى قسمين.

لعل هذه هي أبرز محاولات المستشرقين التي تأثر بما الجابري في مشروعه، وأستقي من منها هدفه وطبيعة الديك الذي بني عليه، وخلاصة القول في مشروع الجابري أنه أسامة ما أنهج المستشرقون في هذا الباب، بتقدمها في صورة مغلقة، وصولاً من يؤمن بالقرآن الكريم فيلقى راحة في العالم الإسلامي.

ومن حق القارئ أن يعترض على هذه الخلاصة بأن الجابر نفسه انتقد ما قدمه بلاشير -والذي يعتبر جهده خلاصة جهود من سبقة، خاصة نولزكه- بأنه لا جديد فيه.

نعم! لكن اعتراض الجابري لم يكن منصباً حول الهدف من هذا الترتيب أو المعيار الذي اعتمده بلاشير، ولكنه كان على تطبيق هذا المنهج وعلى النتائج التي توصل إليها، وعبارة الجابر: "أما ترتيب السور داخل هذا التحقيق، سواء...

---
(1) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره دراسة فردية (1495/2).  
(2) القرآن: نزوله، تدويله، ترجمته وتأويله ص (245).  
(3) مدخل إلى القرآن ص (243).
ترتيب سور القرآن الكريم

والأخيرة، هل نجحت محاولات المستشرقين ومن سار على دربه في إعادة ترتيب سور القرآن الكريم؟

الجواب: لا، فهذا طرف من شهداءهم بأنه لا يمكن ترتيب دقيق لسور القرآن الكريم وفق زمن نزوله، يقول "نولدا". من المستحيل وضع تسلسل زمني دقيق للسور القديمة، لا بل للسورة الملكية بأسروا.(1)

وأن كل محاولة لوضع ترتيب زمني لها باءت بالفشل، يقول المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد عمارة: "نشير إلى أن نفر من المستشرقين اليهود الذين قضوا عقودا من جياعهم في محاولات البحث عن ثغرات يتبين منها في حفظ القرآن الكريم عن التغيير والتبديل والتحرير، والذين حركتهم على هذا الطريق مقاصد إلحاق القرآن بالكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، والتسوية بينهما في التحرير والتغيير والتبديل.

إن نفر من هؤلاء المستشرقين اليهود قد مكثوا عقودا يحاولون التشكيل في إحكام القرآن وحفظه، وفي تأليف نسخة من القرآن مغايرة لنسخة الإمام، ثم جاءت جهودهم هذه بالفشل والخيبة والخجلان، فعدلوا عن هذا الذي صنعه أخيرا الدكتور الجابري.

لقد سجلت ذكر هذه المحاولات وهذه الخيبة دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرقون الغربيون أنفسهم، فقالت: "لقد هون محاولات المستشرقين في ثلاثينيات القرن العشرين إصدار نسخة أخرى غير نسخة عثمان".(2)

ويقول الأستاذ الدكتور/ رضوان السيد الأستاذ بالجامعة اللبنانية في تجربته مع أحد المستشرقين الألمانين: "عندما ذهب إلى جامعة توبنغن في ألمانيا الاتحادية للدراسة عام...

(1) مدخل إلى القرآن ص(243)، وينظر: مقال الدكتور عبد الرحمن الحاج، منشور على موقع ملتقى أهل التفسير- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) : https://vb.tafsir.net/tafsir/980/#.XXNdzX_grIU
(2) تاريخ القرآن لتولدا" ص(57).
(3) رد افتراضات الجابري على القرآن الكريم ص(40،41).
الجلد الأول من العدد السادس والثلاثين لحلوة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزوله في فكر الجابر


ودعك من أسباب النزول، ومن ترتيبات الملكي والمدني والناسب والملسخ، فهذه التقسيمات علوم ظهرت في ما بعد، ونص القرآن أن جميع من دون أسباب نزول وترتيبات نزول!.

أقول: سبب فشل هذه المحاولات كوكها مبنية على الظن والتخمين، ولم يعتمد شيء منها على دليل قطعي، أرادوا مما دفع ما ثبت بالتوتر وقدم أعظم مقاصد هذا النص، وهو كونه هداية للعالمين.

(1) مقال أ.د.رضوان السيد منشور على موقع ملتقى أهل التفسير- شبكة المعلومات الدولية

https://vb.tafsir.net/tafsir/1991/#.XdVFGa_grIU
الخاتمة

أولاً: نتائج البحث:

الحمد لله الذي يفضله تتم الصالحات، ومنه تبارك الطيات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه صلاة وسلاما دائمينا، لا يقتطعان أبدا، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ويعود...

فقد عشت في رحاب هذا البحث أشهرًا دفاعًا عن كتاب الله، أقف على أبعاده، وأجمع مسائلي، وأقلب صفحات أمهات المراجع، موصلة بجهود الباحثين الذين عنها بالدفاع عن كتاب الله، كاشتفين مسالك أهل الضلال والهدافين، فكان أبرز ما توصلت إليه من نتائج ما يلي:

أولاً: أن ترتيب آيات وسور القرآن الكريم بهذا الشكل بين أيدينا ترتيب توقفي، وهو يتلاءم مع المقصود الأعظم لنزول القرآن الكريم، وهو كونه هدية عامة للتعلمن إلى قيم الساعة، مما يلزم القول بوجوب اتباعه والمحافظة عليه اللهم إلا في مواطن معدودة، كمقدم التعبد، والدرس والتعليم، فلا يتوقف الانتفاع بجديه على ذلك الترتيب.

ثانياً: أن محاولات ترتيب سور القرآن الكريم ترتيبًا زمنيًا أمر لا يتعدى أن يكون ظنيًا، أما السعي للبلوغ به درجة قطع فامر دونه خرت الفناد.

ثالثاً: أن الوقوف على زمن نزول الآيات والسور له جانبان:

أوهماً: أنه مهم؛ إذ يعد إحدى أدوات فهم الآيات فهماً دقيقاً، والزلزل فيه له نتائجه الخطيرة.
ثانيهما: أنه مزلق خطر، لم تتناول على غير وجهه الصحيح.

رابعاً: أن المدرسة العلمانية في تناولها للقضايا القرآنية عامة سلكت منهجا لا يتلاهم مع خصائص القرآن الكريم، مما أدى إلى وقوعها في كثير من الأخطاء.

خامساً: أن المدرسة العلمانية تعد امتداداً للفكر الاستشارقي مبناهجه ونتائجه.

سادساً: أن الدكتور محمد عابد الجابري أحد من تناول قضية ترتيب سور القرآن الكريم على طريقه المستشرقين، فأخطأ في منهجه، وفي نتائجه.

وأخيراً: لا يسعى في الختام إلا أن توجه إلى الله - تعالى - بالدعاء أن يجعل عملي هذا خليلا لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول والمنوبة أن يفعله، وأن يجعله في ميزان حسنات وحسنات والدُي يوم القيامة،،،، آمين.

وصل الله علي سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسلما كثيراً
الجديد الأول من العدد السادس والثلاثين حول حلقة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

ثانياً: نبذة بأسماء المصدرين والمراجع

1- الإلتقان في علوم القرآن بجلال الدين السيوطي، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، سنة: ٢٠٠٠ م.

2- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزري، ط: دار الأندلس- بيروت، الثالثة، سنة: ٩٨٣ م.

3- آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية للمؤلف أحمد نصر، ط: دار القلم- الرباط، الأولى، سنة: ٢٠٠٩ م.

4- آراء المستشرقين حول القرآن وتفصيره دراسة نقدية للمؤلف عمر إبراهيم رضوان، ط: دار طيبة- الرياض، الأولى، سنة: ٩٩٢ م.

5- الأرجوزة المنيحة على أسماء القراء والرواة لأبي عمرو الداني، ط: دار المغني- الرياض، الأولى، سنة: ١٩٩٩ م.

6- أسسات النهج والخطاب في درس القرآن وتفصيره للفاضل محمد مصطفوي، ط: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي- بيروت، الأولى، سنة: ٢٠٠٩ م.

7- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ط: دار الكتاب الجديد، الأولى، سنة: ١٩٩٩ م.

8- أسباب النزول، تحديد مفاهيم ورد شبهات للمؤلف محمد سالم أبو عاصي، ط: مكتبة الإمام القاهري- القاهرة، الأولى، سنة: ٢٠٠٨ م.

9- أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ط: دار الاعتصام، الثانية، سنة: ١٩٧٨ م.

10- إكمال العلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصي، ط: دار الوفاء- المنصورة، الأولى، سنة: ١٩٩٨ م.

11- الاختصار للقرآن لأبي بكر الباقلاوي، ط: دار الفتح- عمان، ودار ابن حزم- بيروت، الأولى، سنة: ٢٠٠١ م.

٨٥
١٦ - البرهان في تناساب سور القرآن لأبي جعفر بن الزبير الغزولي، د: دار ابن الجوزي- الرياض، الأولى، سنة: ١٤٢٨ هـ.

١٣ - البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن مهارط الرزق، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى الباحثي وشركاه، الأولى، سنة: ١٩٥٧ م.

١٤ - النبيوية المشأة والفصل في عرض ونقد للدكتور محمد عبد الله بلغيفر، بحث منشور بمجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: ١٥، سنة ٢٠١٧.

١٥ - بيان المعاني لعبد القادر بن مالك حويش، ط: مطبعة الترقي- دمشق، الأولى، سنة: ١٩٦٥ م.

١٦ - تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزمخشي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة.


١٨ - تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ط: دار الفكر- دمشق، سنة: ١٩٩٥ م.

١٩ - التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط: دار ابن حزم- بيروت.

٢٠ - النثر والخمسية للدكتور محمد عابد العباسي، ط: مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، الأولى، سنة: ١٩٩١ م.

٢١ - ترتيب آيات وسور القرآن الكريم، دراسة في علوم القرآن وعلوم الحديث، للدكتور محمد أبو زيد، والدكتور عمر محمد الفرساوي، منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط- جامعة الأزهر، العدد الخامس، سنة: ٢٠١٧ م.
العدد الأول من العدد السادس والثلاثين حول كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية

ترتب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجاحري

27 - ترتيب سور القرآن الكريم للمدكتور طه عابدين طه - مندثر لمجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد التاسع.


24 - التفسير الكبير لفخر الدين الزرازي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثالثة، 1420 هـ.


26 - تفسير المظهري للقاضي محمد ثناء الله العشماوي المظهري، ط: مكتبة الرشدية - باكستان، سنة: 1412 هـ.


29 - تدبيض التهديب لأبن حجر العسقلاني، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند، الأول، سنة: 1326 هـ.


31 - جامع الجوامع في أصول الفقه لشيخ الدين السبكي، ط: دار الكتب العلمية، الثامنة، سنة: 2002 م.

32 - حاشية الطبيبي على الكشاف: فتحي الغيب في الكشف عن قناع الرب، لشريف الدين الحسين بن عبد الله الطبيبي، ط: جائزة دبي الدولية للفقران الكريم، الأولى، سنة: 2013 م.
34 - حفتر النزعة التاريخية على المؤرخ الديني للمؤرخ محمد عمارة، ط: مكتبة وهبة- القاهرة.
35 - الدرس المثير في التفسير بالمألوف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السبطي، ط: دار الفكر - بيروت.
36 - دفاع عن القرآن ضد منتقديه للدكتور عبد الرحمن بدوي، ط: الدار العالمية.
38 - الدين والدولة وتطبيق الشريعة للمؤرخ محمد عايد الجابري، ط: مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، الأولى، سنة: 1996 م.
39 - الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري دار الهلال - بيروت، الأولى.
41 - رعاية المسلحة لنجم الدين الطوفي، ط: الدار المصرية اللبنانية، الأولى، سنة: 1993 م.
42 - روح المعلمان في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله بنلوسي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، سنة: 1415 هـ.
45- سنين أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: المكتبة العصرية، بيروت.


47- الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن لعبد السلام البخاري، والصديق، بو علام، ط: الدار العربية للعلوم - الرياض، الأولى، سنة: 2009 م.


49- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لأبي حام محمد بن حبان الدارمي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الثانية، سنة: 1993 م.

50- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه لأبي عبد الله البخاري، ط: دار طوق النجاة، الأولى، سنة: 1422 هـ.

51- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للمدتح الدكتور رمضان أبوطي، ط: مؤسسة الرسالة.

52- الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد، ط: دار صادر - بيروت، الأولى، سنة: 1968 هـ.


54- علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسورة للدكتور أحمد خالد شكري، والأستاذ عمار سليم نزال ط: جمعية المحافظة على القرآن الكريم - الأردن، الأولى، سنة: 2003 م.
56- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن يمكة وما أُنزل بالمدينة لابن عبد الله محمد بن أبوب بن يحيى بن الطيرميس، ط: دار الفكر - دمشق، الأولى، سنة: 1987م.


60- القرآن وشبهات المستشرقين قراءة تقدية للدكتور عبد الله خضر، ط: دار الكتب العلمية- بيروت.


64- المحرر الوبيح في تفسير الكتب العزيز لابن محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى، سنة: 1422هـ.

المحور الأول من العدد السادس والثلاثين حول كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

ترتيب سور القرآن الكريم وفق زمن نزولها في فكر الجابر

٨٦- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، سنة: ١٩٩٠ م.

٨٧- المستضيء في علم أصول الفقه لأبي حامد الغزالي، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، سنة: ١٩٩٣ م.

٨٨- مسند أبي داود الطيالسي لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود، ط: دار هجر - مصر.

٨٩- المسند للإمام أحمد بن حنبل، ط: دار الحديث- القاهرة، الأولى، سنة: ١٩٩٥ م.

٩٠- مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عبيد الجاهي (رسالة دكتوراه) للدكتور محمد علي أبو هندي، ط: دار السلام، الأولى، سنة: ٢٠٠٠ م.

٩١- المصاحف لأبي داود السحستاني، ط: الفاروق الحديثة - القاهرة، الأولى، سنة: ٢٠٠٠ م.

٩٢- معالم التفكير وفقاً للمدرسة لعبد الرحمن حسن حنيفة، ط: دار القلم - دمشق، الأول، سنة: ٢٠٠٠ م.

٩٣- معالم التأويل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن القراء اللغوي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، سنة: ٢٠٠٠ م.

٩٤- المبعوث الأوسم لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: دار الحرمين - القاهرة.

٩٥- المجمع الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٩٦- مقالات في التأويل للمدكتور محمد سالم أبو عاصم، ط: دار الفارابي، الأولى، سنة: ٢٠١٠ م.
٢٩ - مناهل العرفان. محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: عيسى الباجي الحلي، الثالثة.

٢٨ - المواقفات في أصول الشريعة لإبراهيم بن موسى بن محمد بن خمي الغزالي، الشهر المشاطي، ط: دار ابن عفان، الأولى، سنة: ١٩٩٧ م.

٢٩ - موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط: مركز المشاركة لإبداع، الأولى، سنة: ١٩٩٨ م.

٨٠ - الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، إشراف روزنثال، بودين، ترجمة سمير كرم.

٨١ - النسخ والنسخ أثر جعفر النجاح، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٩٩١ م.

٨٢ - الباب العظيم للمدارك محمد عبد الله دراز، ط: دار الثقافة - قطر.

٨٣ - تحق وتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، للمدارك محمد عابد الجابري، ط: المركز الثقافي العربي، السادسة، سنة: ١٩٩٣ م.

٨٤ - نظم الدرر في تناسب الآيات والمسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر الباجي، ط: دار الكتب الإسلامية - القاهرة.

٨٥ - النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن للمدارك محمد عبد الله دراز (مقال) نشر في مجلة كتب القرآن، العدد: الأول والثاني، السنة الرابعة، ط: مكتبة الإمام البخاري- الإمامية، الأولى، سنة: ٢٠٠٥ م.

٨٦ - النقد والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالمأمون، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.